طالب عمران

في الخيال العلمي

طالب عمران

في الخيال العلمي

الطبعة الاولى ١٩٨٠

هل نحن وحدنا في هذا العالم ؟



أسئلة محيرة تبدو كالطلسم ، طرحهـــا الناس منــذ قرون عديدة ، ووصلت في هذا القرن ذروة اثارتها .

هل نحن وحدنا في هذا العالم ؟ ام ان هناك مخلوقـــات غيرنا ؟ واذا كانت تلك المخلوقات موجودة فعلا فلم لم نتمكــن حتى الآن من التقاط اشارة واضحة منها ؟

والمتأمل لهذا المد الطاغي من النجوم والمذنبـــات والســدم والكواكب في ليلة مقمرة — صفت من الغيوم — يحس بحاجـــة ملحة لطرح الاسئلة العديدة التي يرتعش لغموضها وابهامها ..

ان حدود الحواس والمدارك البشرية ، بالنسبة لهذا الكون الاحدب الواسع — على ما فيها من مكتسبات علمية وتطور تقني — هي حدود ضيقة لا تسمح لنا بتخيل حياة أخرى في عوالــم بعيدة الا بصور نعرفها نحن ، عن طريق ما نطلع عليه أو ما ندرسه أو ما نستوعب مادته عن طريق الاحاسيس (المتوفرة لدى كائننـــا البشري) التي تشترك جميعها بتركيب صور لكائنات خرافية ... والحدود الضيقة لحواسنا تقلـــل مـــن احتمال صحـــة هذه الرسومات ، التي تبدو احيانا اشكالا فارغة لا معنى لها ...

ان مدار الرؤية يحتم على العين ان ترى اشكالا ذات ابعاد خاصة ومواصفات معينة ... وما خـــرج علـــى هذا القيـــاس المادي لا تتمكن العين من رؤيته الا بوسيلة تقنية ما ، كالتلسكوبات والميكروسكوبات والنظـــارات المقربة ... فنحن لا نرى الهـــواء بأعيننا المجردة ولا الاسماك السابحـــة في الاعماق او الطائـــرة

المختفية في طيات الغيوم ... وهذا ما يجعل الرؤية البصرية محدودة . ويجعل امكاناتنا في سبر ما يحيط بنا ، ضئيلة امام عظمة هذا الكون الرحب العميق الابعاد ...

وفي تصورنا العقلي ، تبدو الاشكال مختلطة ، ذات ملامح غير متميزة ، قد تنجح في ازالة ستار التعمية عنها ، بما نكسبه من معلومات ومعارف .. تخطينا لكوكب ضخم « كالمشتري » يكون قريبا من الواقع كلما كانت مكتسباتنا العلمية عن هذا الكوكب متوفرة تجيب عما في جعبتنا من تساؤلات . ولدى ملاحقة هذه التصورات بعمليات مقارنة بين الناس ، نجد أن لكل منهم تصوره الخاص ، وهذا التصور نقطة مميزة تفرز الاديب والعالم والرسام والموسيقي ...

* كواكب شبيهة بالارض *

أكثر من « ٤٠ » الف كوكب شبيه بكرتنا الارضية في المجرة وضع العلماء احتمال وجوده في مجموعة كمجموعتنا الشمسية تماما ، وترتيبه بين كواكبها التسعة كترتيب الارض .. فهل يوجد فوق تلك الكواكب نوع من الحياة العاقلة ؟ وان وجدت حقا فما الذي منعها من الوصول الينا ؟

أجهزة الرادار والاستقبال البعيد المدى تتلقى باستمرار اشارات غامضة وذبذبات معقدة لم يستطع العلماء فك طلاسمها بعد ، فهل هي رسائل موجهة من مخلوقات عاقلة بعيدة الينا ؟

* الخيال العلمي .... قفزات لامتناهية *

ان المهتم بأمور العلم ومنجزاته ، يحس بمتعة وهو يستعرض

بخيالاته هذا الركام الهائل من المعلومات التي حصل عليها علم الفلك في اقل من ربع قرن ... وينقلب بتفكيره ، وهو ينتفض مرتعشا ، متخيلا نفسه يسبح عبر هذه المسافات اللامتناهية ، في أحلى لحظات ابداعه وشروده ..

ويطرق هذا النوع من الخيال كتاب الادب العلمي ، الذين يروجون لكتبهم بتصوير عوالم بعيدة يصلها الانسان بسرعات تتجاوز سرعة الضوء على الرغم من أن ذلك يناقض انشتاين — ولعل سبب هذه الشطحات الخيالية ، حلم الانسان بالتغلب على عامل الزمان لضآلة عمره ، الذي يمثل لحظة تافهة لا تقاس امام عمر الكون ، ولقلة حيلته في الوصول الى البعيد .

سرعة الضوء — وهي أعلى سرعة معروفة تبلغ — ٣٠٠ — الف كيلو مترا في الثانية الواحدة (او « ١٨٦ » الف ميل) وفي سنة حوالي «٦» مليون ميل ، واقرب نجم الينا في مجرتنا يبعد عن الارض « ٢٥ر٤ » سنة ضوئية ، اي اكثر من « ٢٥ » مليون ميل وهي مسافة تعادل بعد الارض عن القمر « ١٠٠ » مليون مرة ... فهل بالامكان الوصول الى اقرب نجم خارج المجموعة الشمسية ، خلال القرن القادم — مثلا — ؟

□

لا شك في أن العقل الذي يمد الانسان بتلك الطاقة الابداعية والقدرة على التحليق في أجواء فذة من الخيال ، هو الذي يزيد من سموه ويعلي منزلته بين الكائنات . بالتخيل يستطيع الانسان أن ينتقل في الكون ويسبح بين الاثير ، ويحلق في عوالم غير مرئية .. التخيل عند الانسان هو عالمه الخاص ، السحري ، يطوف به أرجاء الكون ، حتى ليكاد يسمعه صوت تصادم الذرات

بألكتروناتها ونوياتها ، وليكاد يجعله يحس ببرودة أعتى الكواكب وأضخمها ، ولسخونتها ، وهي تسبح في المجموعات النجمية اللامتناهية الممتدة في الكون .

قوة العقل الفريدة وقدرته على التخيل ، هي التي تخلق العباقرة والعظام .. كل كلمة مكتوبة لها معناها ، سحرها ، وقعها الخاص .. نحس بها أحيانا متحركة حيوية ، عظيمة ، معبرة .... وأحيانا أخرى ضئيلة ، تافهة ، قذرة ، ممسوخة ...

خيال المخرج السينمائي أو المسرحي أو الاذاعي هو الذي يحدد روعة الفيلم أو المسرحية أو البرنامج الاذاعي ... ضمن قناعته الابداعية ، ينقل للمتفرج أو المستمع الاحداث كما استطاع ذهنه أن يتملاها .. وضمن دفق من الصور الرائعة البديعة ، أو الموجات والمؤثرات الصوتية المثيرة ... التي تحدد مدى قوته وسعة خياله ونجاحه في التأثير في المتفرجين أو المستمعين ..

خيال الطفل يصور له أن البناء الذي يصنعه من الطين والرمال ، عمارة شاهقة يحيا في داخلها ، ونوافذها ... وتتخيل الطفلة أن دميتها هي الاخرى طفلة جميلة عابثة ..

خيال الحبيب شوق ولهفة وسعادة وتعزية عن لقاء الحبيبة ، ينقله الى عالم كله هناء وحب ..

عمر الانسان القصير لا يقاس بعمر الكون . اللحظة الفاصلة بين تكون الجنين ودفنه بعد أن يمتد به العمر ، لحظة ضئيلة تافهة ...

ما دمنا نملك العقل ، ونملك خيالاتنا اللامحدودة ، كيف لنا أن نتخيل المستقبل — ضمن مكتسباتنا العقلية — ؟

نحن بمبادرة طبيعية ، نرسم بخيالاتنا مستقبلا ، يمكن أن نحياه اذا امتد بنا العمر لسنوات ... ولكن ألا يمكننا التنبؤ بالمستقبل الذي يفصلنا عنه مائة سنة أو الف سنة أو عشرة آلاف سنة ؟..

دراسة تطبيقية في
سينما الخيال العلمي

تعتبر السينما في لغة العلم ، من أهم وسائل الايضاح والتقريب ، ولعل التطور الذي أصاب الصناعة السينمائية في السنوات الاخيرة ، ساهم الى حد بعيد في انتاج أفلام علمية ممتعة تنقل المتفرج الى أحداث الماضي الغابر ، والحاضر ، وآفاق المستقبل ..

وفي رأيي ستكون السينما أكبر مرشدة للعلم في المستقبل ، فالى جانب مساعدتها في تسجيل حياة تكاثر الكائنات الدقيقة ، وربط حركة الاعضاء الحية ببعضها البعض في الجسم البشري ، أو الحيواني .... وتصوير العمليات الجراحية الخطيرة .... فانها من خلال الكاميرات المحملة على الاقمار الصناعية ، والتي تلتقط صورا للارض والفضاء الكوني المحيط بالارض والمجموعة الشمسية والمجرة ... تفيد في اغناء الارشيف الخاص بأفلام الرواية العلمية في أثناء عمليات المونتاج ، عندما ينتقل الرواد بين الكواكب ويسبحون في الفضاء السحيق .

عشرات من الافلام العلمية التي يتلاعب بمخرجيها الخيال، انتجت في السنوات الاخيرة ، تساهم الى حد كبير في تنمية روح الخيال العلمي والبحث في أمور لم يتوصل العلم لفك طلاسمها .

الى جانب النماذج الجيدة من هذه الافلام ، تنتج أفلام تجارية ، تربط العلم بالخرافات والغيبيات ، ولكنها لا تشد انتباه المتفرج الذكي ، الذي لا يهتم باعلاناتها المثيرة والوانها الخلابة .

ان فرز الافلام العلمية الجيدة من الرديئة ، ليست مهمة

صعبة لدى نقاد السينما الملتزمين بالنقد العلمي الموضوعي ... لذلك فالزمن كفيل بايقاف موجات الافلام التجارية التافهة ما دام هؤلاء النقاد يتسابقون الى فضحها وتعرية مضامينها .

* (٢٠٠١) أوديسة الفضاء *

في فيلم (ستانلي كوبريك) — ٢٠٠١ أوديسة الفضاء — الذي كتب السيناريو الى جانب مخرجه (كوبريك) العالم الامريكي (آرثر كلارك) مؤلف العديد من الكتب المختصة بعلم الفلك .

يتكون الفيلم من أربعة أقسام : (فجر الانسانية — رحلة الى كوكب المشتري — كوكب المشتري وما بعد اللامنتهي — اللاوظيفة) :

* فجر الانسانية :

تنتقل الكاميرا بين مشاهد القرود المتنافرة ، المتصارعة احيانا فيما بينها والانسان في بداية تطوره مع مزجها بصور عن الارض السابحة في الفضاء .... ولغة الحوار فيه في لقطات الكاميرا فقط .

* رحلة الى كوكب المشتري :

في هذا القسم ، نرى التطور الكبير الذي وصل اليه الانسان ، حيث تنطلق مركبة فضائية من الارض متجهة نحو كوكب المشتري تحط أولا فوق محطة وهي مختبر فضائي مشترك بين الدول المتطورة ويدور حوار نتبين منه ، كيف يحاول الرواد اخفاء

اسرار تطور دولهم التقني .. ويقدم هذا القسم عرضا ليوميات رجل الفضاء السابح في مركبته بين الاثير .. وكيفية اتصاله بالارض وهو على بعد ملايين الاميال .... وذلك في عام ١٩٩٢ .

⁂ كوكب المشتري وما بعد اللامنتهي :

في هذا الجزء ، يبلغ الانسان مرحلة متقدمة من التطور ، يتمكن من صنع انسان آلي مزود بعقل الكتروني بقوة تسعة الاف وحدة ذاكرة .. يستطيع القيام بكافة اعباء الانسان .

ولنتحدث قليلا عن سير الاحداث في هذا الجزء من الفيلم : خمسة رواد ينطلقون الى كوكب المشتري اضافة للانسان الآلي (هال) .. ثلاثة منهم في مرحلة السبات داخل توابيت زجاجية يتنفسون مرة كل دقيقة ، وتنبض قلوبهم نبضتين في الدقيقة .. وذلك لمرحلة معينة من الرحلة حيث سيقومون بعدها بأعبائهم العادية بدلا من الرواد المستيقظين .. ينبه الانسان الآلي (هال) كل من (بول) و (بومان) اللذين يقودان السفينة ، الى حدوث خلل في محركها .. وعلى الرغم من نفي المحطة الارضية لوجود مثل هذا الخلل ، يخرج (بول) بلباسه الفضائي في محاولة لاصلاحه .. ويتبعه (بومان) بعد قليل .. وتكثر اخطاء الانسان الآلي (هال) فيقرر عندها (بول) و (بومان) ايقافه عن العمل ، وتلتقط عينا (هال) الحديث عن طريق حركة شفاه رائدي الفضاء .. فيقوم بحركة في السفينة يطرد (بول) بعيدا عنها ليسبح في الفضاء بعيدا .. يحاول (بومان) بواسطة قارب فضائي أنقاذه ، فيعيق (هال) عملية الانقاذ ويضيع (بول) في الفضاء ، ويتمكن يومان — بصعوبة بالغة — من العودة الى السفينة .. وايقاف وحدات الذاكرة المنطقية في (هال) فيبدأ هذا بافراغ تغذيته ويتوقف عن عمله ..

※ اللاوظيفة :

يتنقل المخرج في هذا الجزء الى تصوير حالة (بومان) حيث يكبر سنه ويشيخ .. وتشيخ البطولة فيه ... الى ان يموت .. مخلفا وراءه انجازاته وعظمته كرائد من الرواد القلائل الذين سبروا اغوار الفضاء الخارجي القريب في المجموعة الشمسية ... ويمازج المخرج ضمن لقطات بديعة بين منظر المشتري وأقماره وبين (بومان) المتوفى وصورة لطفل تكبر في الكادر الى ان تختفي تدريجيا وينتهي الفيلم .

□

ان الافلام العلمية الخيالية الجادة ، مهتمة بالجانب الانساني الى جانب اهتمامها بالتثقيف والتوعية والابتعاد عن التزوير .. خلافا للافلام العلمية التجارية التي ترد تباعا الى صالات العرض العربية ، بمواضيع هزيلة خرافية ، بعيدة عن روح العلم الموضوعية ... تغزو العقول الناشئة بأساليب فجة ، مبتذلة وتترك أنطباعا رديئا لدى المتفرجين على اختلاف نوعياتهم .

□

※ (سولاريس)

لعل الفيلم العلمي — سولاريس — للمخرج السوفييتي — اندريه تاركوفسكي — من أنضج الافلام العلمية التي شهدناها في الاعوام الاخيرة .

محطة مدارية فضائية تدور حول كوكب — سولاريس — ذلك الكوكب الغامض الخاضع لاضطرابات سطحية مستمرة ، والذي

يشبه بتكوينه الغازي السائل كوكب المشتري .

يجذب هذا الكوكب الغامض اهتمامات رجال الارض الذين يبدأون بدراسة ظواهره من على متن المحطة المدارية المتطورة الحافلة باحدث الاجهزة والعقول الالكترونية .

يكلف ـ كريس كلفين ـ العالم النفساني المشهور بمأمورية لدراسة الظواهر الغريبة التي بدأت تلاحظ في المحطة . كان كريس يمضي ايامه قبل ذلك في حديقة والده الرائعة قرب غدير وارف الظلال ، ومن خلال احراقه لبعض اوراق وصور من بينها صور لزوجته المتوفاة حديثا ، يحدث انتقال مفاجىء للمحطة المدارية حيث كلف بالمأمورية .

من بين زملاء العمل في المحطة فيزيائي يدعى ـ جبياريان ـ وهو صديق حميم لكريس ، ينتحر لسبب مجهول .. في حين تبدو على زميليه ـ (سناوت) العالم البيولوجي و ـ سارتوريس ـ المهندس في علوم الفضاء ، حالات عصبية مريبة . وحالما يصل كريس الى المحطة تبدو عليه هو الآخر ـ هذه الاعراض حيث يبدأ بمشاهدة شخصيات من ماضيه ، زوجته الميتة ـ هاري ـ تظهر فجأة امامه متجسدة في عملية ملاحقة مستمرة .

العلماء يعتقدون ان هذا التجسيد للتصويرات والاوهام مصدره كوكب ـ سولاريس ـ الغامض . ولكن لماذا يحدث هذا ؟ لماذا تتجسد هذه الاشباح لاحياء في العالم الآخر ؟ .

العلماء في حيرة وقلق واستغراب . ـ كريس كلفين ـ يجد نفسه وسط جو غريب ، المحيط يضطرم في رأسه . زوجته ـ هاري ـ الميتة ، تلاحقه مجسدة بشكل مادي ، يقودها الى حيث يوجد صاروخ في المحطة ويحتال عليها الى ان يغلق عليها باب الصاروخ

الذي ينطلق في الفضاء البعيد يظن — كريس — انه تخلص من شبحها ، لكنها سرعان ما تعود من جديد ، يفشل في محاولة الاقتناع بانها ليست سوى وهم مجسم بطريقة غريبة ، فيتعلق بهذا الطيف لدرجة الهوس . ويخبره طيفها الرقيق انها لا تستطيع البعد عنه . — هاري — الجديدة لها قدرة عجيبة على مقاومة جميع حالات الموت في الجسم البشري العادي تمزق جسمها صفائح معدنية رقيقة بجروح عميقة سرعان ما تلتئم تحاول ان تنتحر بالاوكسجين السائل ، لتتخلص من هذا الارتباط الغريب بكريس وتخلصه من حالات الهوس ، دون نتيجة .

يخبره — سارتوريس — انه من الضروري التخلص من — هاري — لانها تشكل عبئا على ذاكرته ، فهي بعد أن تعرضت المحطة لموجات مكثفة من الاشعة السينية ذادت مقاومتها لعوامل الموت البشرية العادية ولا سبيل للقضاء على مادتها المكونة من مركبات نترونية — بعيدة عن مكونات الجسم البشري ، الا بتعريضها للوميض الضوئي مع الريح .. يرفض — كلفين — هذا العرض ... وتصله فيما بعد رسالة منها تخبره انها اختارت هذا المصير .. يعود الى الارض الى حديقة والده والغدير الوارف الظلال ، حيث تبتعد الكاميرا عن منظره ووالده قرب البيت ، وتبدأ الصورة بالاضمحلال في الكادر الى ان يصبح البيت والحديقة كجزيرة صغيرة وسط محيط سولاريس حيث ينتهي الفيلم .

في فيلم — ستانلي كوبريك — ٢٠٠١ اوديسة الفضاء — وفي الجزء الخاص برحلة الى كوكب المشتري ، تنطلق مركبة فضائية من الارض متجهة الى المشتري ، ويخطف الرواد مختبرا فضائيا للدول المتطورة ، كما يدور حوار بين ابطال الفيلم ، يتبين المتفرج من خلاله كيف يحاول الرواد اخفاء اسرار تطور دولهم التقني ... حيث يقدم هذا الجزء عرضا ليوميات رجل الفضاء السابح في مركبته بين الاثير وكيفية اتصاله بالارض وهو على بعد ملايين الاميال .

بينما في فيلم ـ اندريه تاركوفسكي يذهب العالم النفساني كلفين للمساهمة في حل اضطرابات جو المحطة المدارية لعمل الفيلمين ـ ٢٠٠١ اوديسة ، الفضاء سولاريس ـ المتميزين بتقنية سينمائية عالية من افضل افلام الخيال العلمي التي انتجت في الاعوام الاخيرة .. وان قللت النسخة التي عرضت في شرقنا العربي لفيلم سولاريس من فرصة فهم الفيلم بابعاده الفلسفية (وهي نسخة مبتورة اقتطعت فيها مشاهد كاملة) . فان هذا لا يقلل من اهمية الفيلم الحائز على جائزة مهرجان ـ سان سباستيان ـ كواحد من افضل الافلام العلمية .

□

« هروب لوجان والحياة بعد ٣٠٠ عام »

كتب قصة هذا الفيلم كل من ـ وليم نولان ، وجورج كلايتون ـ اذ تناول احدهما الجانب العلمي والآخر الجانب الدرامي . واضاف المخرج (مايكل ـ اندرسون) الى القصة تقنيته السينمائية العالية .

ولعل شهرة ـ مايكل اندرسون ـ التي حصل عليها بجدارة بعد تقديمه جملة من الافلام الرائعة امثال (٨٠ يوما حول العالم ، العالم سنة ١٩٨٤ ـ الميناء ، اسرار انجيلو ...) اهلته لتحقيق فيلمه الجديد المذهل .

فمن خلال رؤية فلسفية للمستقبل بعد ٣٠٠ ـ عام ، يقدم الفيلم بعض الاجابات عن اسئلة مطروحة :

كيف يفكر البشر في القرن الثالث والعشرين ، ما هو مفهومهم عن الحب والحياة ؟ كيف تكون صورة الموت ؟ ما هي القيم الاخلاقية

المسيطرة عليهم بعد التطور التكنولوجي الذي طرأ على أجهزتهم وادوات عملهم ورفاههم ؟

ان مدينة الغد المستقبلة في عام ٢٢٧٧ سيخضع فيها الانسان للآلة خضوعا تاما ، كل شيء في حياته سيتحول الى رقم ، حتى الحب والعاطفة والحس . ليس هناك من ماض يشده او حاضر يمنعه او مستقبل يرنو اليه لا اهل ، لا اصدقاء ، لا معتقدات ولا ذكريات او اصلاح .. حتى الاحزان والآلام والمسرات لا وجود لها .. الجميع يخضعون لقانون الموت في سن الثلاثين وليس من ذكرى او منفذ حلم . يولدون في حواضن خاصة ، ويخرجون الى الحياة دون معرفة آبائهم او امهاتهم .. بطريقة دراماتيكية غريبة ، ويمرون بمراحل ثلاث :

مرحلة صفراء ، ومرحلة خضراء ، ومرحلة حمراء يصلون في نهايتها الى سن الثلاثين حيث يقذفون الى اتون (ارجوحة الحياة) للانتقال لمرحلة الولادة الثانية — حسب اعتقادهم — . الدولة ذاتها تخضع لنظام ارهابي قوي ورجل الشرطة هو كل شيء العين الرقم المتحرك ... ولكن ليس كل الناس خانعين لهذا الحكم ، هناك من يثورون على هذه الحياة ويبحثون عن ملجأ ينجيهم من الموت في سن مبكرة ، لذلك فالهرب اصبح مطلبا رئيسيا — في هذا القانون الجائر .. وهو ليس رفضا هدفه النجاة من الموت بقدر ما هو هدف حضاري لاستمرارية الحياة المتطورة . ومن اجل هذا تطارد الدولة الرافضين لتحقق هيبتها وسيطرتها .

في الفيلم ادانة لكل قيم مجتمع الآلة والحضارة الزائفة البعيدة عن الاخلاق .

وللديكور اهمية خاصة ، بتشكيلاته الجمالية واستخدامه الكامل المنسجم مع الافكار المطروحة .

لعل المشهد الاخير في الفيلم هو من اجمل مشاهده على الاطلاق ، وفيه يقدم المخرج صورة قاتمة عندما يجتمع لوجان وحبيبته واهل مدينته مع العجوز ، من اجل كشف الستار عن كذبة الموت في سن الثلاثين ، وامكانية الحياة بعد هذا السن . اعلن لوجان عندها انه لا يمكن الوصول الى الحل المنطقي المتجانس الا بعد تدمير حضارة الآلة والعودة الى الاسرة والطبيعة والحب لان الحب هو قنطرة استمرار الحياة .

وان بدأ المخرج مغاليا في نظرته لطريقة تبديل مجتمع الآلة فانه وفق في المقابلة بين العجوز الذي يمثل الطبيعة ، والشباب الذين يمثلون المستقبل ، واظهر ان الحب وحده هو الحافز الوحيد لاستمرار الحياة الحقيقية دون قوانين جائرة بعيدة عن المنطق .

☆ وان بدا طرح — اندرسون — معبرا عن ازمة الحضارة الغربية التي تستمر في انحدارها لتصل مجتمع الآلة الذي يعيش فيه الانسان كرقم دون اعتبارات وقيم انسانية .. فان تحريكه الموفق لمجموعات المثلين دفع الفيلم لمكانة مرموقة بين افلام الخيال العلمي ..

□

أرض سانيكوف

فيلم من اخراج (البرت مكرتيشيان — وليونيد بوبوف) عن قصة فلاديمير اوبروتشيف العلمية (أرض سانيكوف) . وهو من انتاج ١٩٧٣ .

تقع أحداث الفيلم في مدينة صغيرة قريبة من المحيط المتجمد

الشمالي ، في اوائل هذا القرن ، حيث يعيش الرحالة الجغرافي (ايليين) الذي انشد نحو المغامرة ومحاولة اقناع الناس بوجود (ارض سانيكوف) خلف ركام الجليد وفي جزيرة ساحرة ، تدل على وجودها الطيور الراحلة — الراجعة لا يثني ايليين عن عزمه موت المغامرين الذين حاولوا الوصول اليها ، ولا القصص والخرافات التي صيغت حولها .

يتمكن من اقناع احد الاثرياء بتمويل بعثة صغيرة ، مستغلا ولع هذا الممول بمدى ما يدر عليه على هذا الاكتشاف من ربح فاحش ... وتبدأ الرحلة وتقطع سفينة المغامرين (الذين ينضم اليهم طبيب تمكن من الفرار من سجنه السياسي) اميالا عديدة وتصل الى بداية مناطق الجليد ، حيث يتابع المغامرون الاربعة ، السير بواسطة الزحافات الجليدية التي تجرها الكلاب ... وتزداد هبات العواصف الجليدية ، وينفض عنهم رجال الزحافات .. ويتابعون السير بصعوبة عبر طريقهم المرسوم .

وقد بلغ بهم الاعياء اشده ، ويصاب ايليين بعمى الجليد ، وتبدأ فكرة العودة واليأس من المتابعة تعاود بعضهم ، ولكن منظر الارض الذي يبدو لهم من على متن مرتفع جليدي يجمعهم من جديد ، فيصلون الى منطقة براكين ساحرة ، مياهها ساخنة وجوها دافىء : جزيرة جميلة في وسط مناطق جليدية مرعبة ، تعيش فيها قبيلة (الانكي لون) التي قدم افرادها من المناطق البعيدة ، وانعزلوا عن الناس وسط جوها الساحر ، بعيدا عن الكذب والعنف ، يعيشون حياة بدائية هادئة ... يتفاهم افراد البعثة مع رئيس القبيلة ، الذي رفض ان يغدر بهم بتحريض من الساحر .

ولكن الساحر يتمكن من احداث الشقاق بينهم وبين (الانكي لون) بعد أن يقتل مساعده رئيس القبيلة فيلة .

تهتز الارض ، ويحدث زلزال بركاني ، ويبذل رجال البعثة المزيد من الجهد في سبيل علاج جرحى (الانكي لون) ويبدأ الجليد بالزحف بعد ان خمد البركان الذي حافظ على دفء المنطقة كل تلك السنوات الطويلة ويتهدد خطر البرودة الفجائية جماعات الانكي لون ، الذين انشقوا فيما بينهم ، الغالبية تأتمر باوامر الساحر ، والباقون التفوا حول ابن رئيس القبيلة الذي تمكن فيما بعد من انقاذ رجال البعثة الذين اوشكوا على الهلاك بين يدي الساحر .

ويقرر الطبيب البقاء مع (الانكي لون) محاولاً انقاذهم من خطر البرودة التي تزحف على المنطقة ، في حين يبدأ (ايلبين) والآخرون ، رحلة العودة ، يموت احدهم بعد ان يصيبه سهم مساعد الساحر ، ويستخدم ايلبين لاول مرة سلاحه الناري ليقضي على آخر مسبب للشر في القبيلة .

في الطريق الطويلة المتعبة يفقد ايلبين رفيقه المتبقي ، ويتابع رحلته وحيدا مكدودا ، تحيط به الذئاب ولا ينقذه من شرها الا رجال الزحافات التي تجرها اللاما .

الفيلم يعطي فكرة واضحة عن مناطق القطب اعاصيرها حيواناتها ، الوسائل المستخدمة في النقل ، وفكرة عن المناطق البركانية في شمالي الكرة الارضية حيث طبقات الارض البركانية ، بأبخرتها المتصاعدة .... وقد صورت مناظرة في منطقة (كاتشاتكا) في الاودية البركانية الى جانب بركان منطفىء خامد ، وفي المناطق الجليدية قرب (فنلنده) وجزيرة الارض الجديدة .

الى جانب ذلك فالفيلم غني الحركة ، ساحر المناظر . استخدمت كاميرات تصويره ، استخداما ممتازا في نقل المتفرج الى (ارض سانيكوف) الخيالية .. وتقديم (الانكي لون) ـ القبيلة

البدائية التي فر افرادها منذ عشرات الاعوام ، طلبا للحرية والهدوء وابتعاداً عن كل مظاهر العنف .. قدمهم الفيلم بطريقة ساحرة ، في رقصاتهم وطقوسهم وعباداتهم ، وتقاليدهم الخاصة .. كقبيلة موجودة فعلا ، وليس كاناس اوجدتهم رواية فلاديمير اوبروتشيف العلمية الخيالية (ارض سانيكوف) وجسدتهم عبقرية المخرجين (البرت مكرتيشيان وليونيد بوبوف) .

□

الرحلة الفضائية الكبرى

يعتبر فيلم (الرحلة الفضائية الكبرى) لغاليني سيلفانوف ، نموذجا رائعا للفيلم العلمي الخيالي الموجه فكريا وعلميا للبحث في قضايا الانسان المستقبلية ..

تغادر سفينة فضاء ضخمة على متنها مجموعة من الرواد (ثلاثة فتيان وثلاث فتيات — اضافة لفتى آخر تسلل الى السفينة) .. تتراوح اعمارهم بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة .. بعد ان تلقت محطة الاستقبال الارضي نداءات استغاثة من مكان ما في الفضاء الكبير تبين بعد تحليلها انها صادرة عن مجموعة (كاسيوبيا — ذات الكرسي) في طرف المجرة الآخر ومن الكوكب (الفا — شادار) من بين هؤلاء الفتيان (عالم بالحضارات غير الارضية — عالمة جيولوجية — عالمة احياء — طبيبة — مهندسون فلكيون واخصائيون باجهزة الكترونية متطورة ...) .

السفينة تنطلق بسرعة تقارب سرعة الضوء ، وقد اختير الرواد الفتيان لان رحلتهم ستستمر وهم داخل السفينة — ٥٠ — عاما ، يكون قد مر خلالها على الارض سنين عديدة اكبر من هذا

الرقم بكثير ، احد الفتيان .(وهو الفتى المتسلل خلسة الى السفينة) يتجول في السفينة مستطلعا ، فيتسرب نتيجة لعدم انتباهه فأر من مختبر الابحاث ، يتملكه الخوف ، للطريقة التي تسرب منها الى ممرات السفينة فيجري هاربا منه ويقفز بطريقة عشوائية فوق جهاز زيادة السرعة حيث تصل السرعة عندها الى اعلى سرعة معروفة (وهي سرعة الضوء البالغة — ٣٠٠ — الف كيلو مترا في الثانية) .. عندها يغيب طاقم الرحلة عن الوعي ، وتختفي السفينة عن ملاحقة مركز الاستقبال الارضي ... وبعد — ٢٧ — عاما ارضيا تعود — السفينة الى الظهور على شاشات تلفزيون الاستقبال الارضي .. وتعلل — مهندسة الفلك الرئيسية في القاعدة ان السفينة مرت في ثقب فضائي ... بينما يكون قائد الطاقم قد نجح في ارجاع سرعة السفينة الى اقل من سرعة الضوء ... هذه القفزة العجيبة ضمن حاجز الزمن ، تجعل السفينة تختصر من وقت رحلتها الطويلة ، فتصل الى نهاية رحلتها في زمن اقل من الزمن المحدد .. ولا يمر على الرواد داخل السفينة سوى بضعة اشهر — مقابل — ٢٧ — عاما على الارض .. وتقترب السفينة من الكوكب — الفا — في طرف المجرة ... ترسل في البداية محطة هبوط صغيرة على متنها — ٣ — من طاقم السفينة الام ... تحط بهم المحطة فوق ارض صلبة تشبه الى حد بعيد صلابة سطح الارض ... ولكن ما يميز الكوكب (الشبيه بالارض) عن الارض نفسها .. هو انه يعكس الاصوات بطريقة مضخمة (صدى متكرر قوي) .. من خلف احد الاعمدة تخرج مخلوقات غريبة تتحدث بلغة كالصفير يترجمها العقل الالكتروني — الموضوع على صدر كل فرد من الطاقم .. الى لغة اهل الارض .. تقودهم الكائنات التي تتحرك بطريقة عجيبة .. الى تحت سطح الكوكب عبر ممرات ملأى بالاجهزة الغريبة .. يخبرهم الكائن الذي يبدو كأنه قائد المجموعة ، بانهم ذاهبون الى حيث السعادة والاطمئنان .

يستغرب قائد السفينة الشاب ، سبب اختفاء رفاقه بعد ان حطت بهم المحطة على ارض الكوكب .. وعدم قدرته على الاتصال بهم .. وفجأة يقترب من السفينة جسم غريب على شكل (سيجار ضخم) يتحرك بطريقة دورانية ويتبين من خلال كوامها الزجاجية ، ماهية الكائنات التي تقودها ، فيتبادل معهم قائد السفينة الارضية اشارات التحية .. ثم يستضيفهم داخل السفينة ، وملامح الوداعة والسلام على وجهه . تتميز هذه المخلوقات الشبيهة بالبشر بسرعة فهمها وادراكها وهي تتحدث مع البعثة الارضية (الاخوان في العقل) — حسب تعبير زعيمها ، اذ ما ان تتعلم حروف الهجاء والمصطلحات بواسطة العقل الالكتروني حتى تتمكن من فهم لغة افراد الطاقم وتتحدث اليهم بنفس لغتهم .. وتخبرهم بان من على الكوكب ليسوا سوى اناس آليين يسيطرون على مقدرات الكوكب ، بعدما دمرت الحضارة — غير المنظمة — ابناءه ، ولم يبق منهم سوى القليل يعيشون في محطات تدور حول الكواكب .. ومنذ — ٢٥٠ — سنة وهم يرسلون النداءات المتكررة في اعماق الفضاء عل بعض الكائنات العاقلة من سكان كواكب المجرة ... تلتقط هذه النداءات ، وتهرع لنجدتهم ..... ويتحدث رئيسهم الاعلى ، لافراد البعثة الارضية ، عن مدى شوقهم للعودة الى كوكبهم ... فتجهز محطة انزال اخرى وعلى متنها قائد البعثة الارضية ذاته ، مع كائن من كائنات الكوكب — الفا — .. الذي تطوع مختارا مضحيا بحياته مقابل النجاح في السيطرة على الآليين .. ويتمكن افراد الرحلة من انقاذ رفاقهم ، وتدمير المحطة التي تغذي الآليين بالطاقة بحيث تشمل فعاليتهم تمهيدا لعودة اهالي الكوكب اليه بعد غياب طويل .

ان فيلم (فاليني سيلفانوف) الذي يناقش بطريقة مبسطة العديد من النظريات العلمية الهامة ... وآفاق الحياة في المستقبل ..يعتمد على طرح مبادىء وافكار تناقض تماما ، ما تحاول افلام الخيال العلمي الغربية ذات التوجه التجاري .. من ان الكون

مسكون بالكائنات الشريرة التي يجب استعمارها واذلالها وتسخيرها لخدمة الانسان الحضاري المتفوق .

بينما نجد في هذا الفيلم وغيره من الافلام العلمية السوفيتية التي تتحدث عن الرحلات الفضائية المستقبلية — ان رحلات الفضاء في المستقبل تهدف الى الوصول الى سكان الكواكب الاخرى في الكون الواسع ، والتعاون معهم لحل المشاكل المعلقة بصورة جماعية .. وقد قدم الفيلم شرحا هاما لنظرية النسبية لانشتاين والعلاقة بين المكان والزمان وسرعة الضوء ... عدا عن مناقشة قضايا هامة سبق ان طرحها العديد من المفكرين ، وهي امكانية سيطرة الانسان الآلي على مقدرات الحياة وتحكمه بالانسان بشكل يتحول فيه على مر الزمن الى كائن قاصر حتى من الابداع .

في الكوكب — الفا — الانسان الآلي يتكون من طبقتين : طبقة المنفذين المزودين بطاقة غير خلاقة ، تعتمد على المعلومات التي غذيت بها الذاكرة وقد اكتشف افراد البعثة الارضية نقطة الضعف هذه ، وتمكنوا من حرق مدخرة التغذية لبعض هؤلاء المنفذين بعد طرح السؤال :

« على الانبوب الشيء (الف) والشيء (باء) سقط (الف) عن الانبوب ماذا يتبقى ؟ » اما الطبقة الاخرى من الآليين فهي طبقة القادة ، التي تملك القدرة على فرز المعلومات والاجابة عن اي تساؤل ، وفرزه بطريقة منطقية ، نتيجة التقدم العلمي والتطور التقني التي غذيت بها الذاكرة وتحويلها بشكل خلاق .

توصل هؤلاء القادة الى اكتشاف نقاط الضعف في سكان الكوكب — الفا — وسيطروا عليهم بدءا من نقاط الضعف هذه ، وهذا ما جعل جميع محاولات العودة للكوكب من قبلهم تفشل فشلا

ذريعا .. حتى تمكنت بعثة كوكب الارض المؤلفة من اناس يختلفون عنهم فيزيولوجيا ، من ارجاع زمام القدرة اليهم .

هذا النوع من الافلام التي تتناول قضايا علمية وانسانية مستقبلية هامة نادرا ما تنجح في طرحها الافلام العلمية الغربية .. تقدمها السينما السوفياتية بشكل ابداعي .. وتنفذ بديكورات هائلة وتصوير متقن وخدع تنجح الى حد بعيد في نقل المتفرج في رحاب الفضاء الى العوالم البعيدة المجهولة .

□

الرجل الضفدع

فيلم سوفييتي فيه ايضا الكثير من الصنعة السينمائية المتفوقة . ويتحدث عن امكانية نجاح الحلم في المزاوجة بين الحياة في المحيطات ، والحياة على اليابسة : تتعطل احدى رئتي صبي ويتهدده الموت ، فيضيف والده العالم الفيزلوجي ، خيشوما كخياشم الاسماك — بدلا من الرئة التالفة ليعيش في ازدواجية تنفس ، بين امكانية تنفس الهواء النقي من الجو بالرئة الصحيحة او تنفس الهواء المحلول بالماء بخيشوم سمك القرش .

ويثير ظهوره نوبة فزع لدى الملاحين والبحارة والصيادين والباحثين عن اللؤلؤ والمرجان . وينقذ الفتى الذي لقبه الجميع باسم (شيطان البحر) ابنة بحار عجوز يعمل هذا البحار عند احد الاثرياء من اصحاب مراكب الصيد ، يهدده — بديونه الكثيرة ان لم يقنع ابنته بالزواج منه.وتنشأ بين الشاب والفتاة علاقة حب،يتمرد لاجلها على والده الذي عزله بعيدا عن الناس (وهو يحلم بأن يحول البشر الى كائنات تتمتع بازدواجية تنفس كما هو الحال عند

ابنه ليسيطر الانسان على المحيطات كما هو مسيطر على اليابسة) .. ويبقي العالم في حلمه الرومانسي مبعدا ابنه عن الاختلاط بالناس ، حيث بنى مركزا للبحث العلمي بين الصخور المرتفعة المطلة على الشاطيء ، محفورا في قلب الجبل . يلاحق صاحب مراكب الصيد الفتى لاصطياده واجباره على العمل عنده في التفتيش عن اللؤلؤ في الاعماق .. وتتلاحق الحوادث ويقبض على العالم وابنه الشاب ، ويوضع الفتى في برميل من الماء القذر مما يسبب تلف رئته الثانية ، ويوشك على الاختناق الى ان ينقل للشاطيء ليودع حياة اليابسة الى الابد ، مخلفا وراءه فتاته وقد هدتها الفجيعة ..

الفيلم يعتمد على لغة السرد والاثارة ، والوضوح في طرح الرؤى العلمية ويحاول الوصول بأفكاره الى المتفرج ببساطة دون تعقيد .

الجنين والنحل المتوحش

لعل اهم اسباب الاقبال الكبير على انتاج الافلام العلمية الخيالية ، لدى الشركات السينمائية الغربية هو ما تحققه هذه الافلام من أرباح عالية ، أمام انواع الافلام الاخرى . فقد وصلت ارباح فيلمي (حرب النجوم) و (كينغ كونغ) الى أرقام خيالية على الرغم من كلفتها الكبيرة .

— وهذا ما زاد من اندفاع المنتجين نحو انتاج مثل هذه الافلام التي تخلو تقريبا من المنطق العلمي ، وذلك دون أية محاولة لتطويرها بوضع ارضية فكرية تستفيد من هذا الجو الخرافي .

ويعتبر فيلم (الجنين) للمخرج الامريكي (رالف نلسون) من هذه الموجة من افلام الخرافة العلمية التي لا تستند على منهج علمي أو أرضية فكرية او نزعة انسانية تخدم موضوع الفيلم بشكل مباشر ، وتساهم في رفع سويته .

يفتقد فيلم الجنين الى الكثير من المعطيات العلمية ، التي يمكن أن تجعله مقبولا لدى المتفرج رغم الجمل التي اكدها المخرج في بداية الفيلم اذ قال ان قصة الفيلم ليست من الخيال العلمي ، بل هناك نسبة اجماع من علماء الحياة على امكانية حدوثها .

يصدم (بول هاليستون) وهو طبيب بحاثة بسيارته كلبة حبلى اعترضت طريقه فجأة وينقلها الى مختبره محاولا انقاذها ولكنه يتبين ان كبدها تالف وموتها مؤكد خلال ساعات قليلة فيحاول

انقاذ الاجنة الصغيرة باطالة عمر الام بحيث تصلها التغذية المباشرة الى الاواني الزجاجية المليئة بالمحلول المغذي التي وضعت بها .

يحقن (هالستون) الجراء بمادة (اللاجنتين) التي تحوي هرمون النمو وتنفق الاجنة كلها عدا الجنين الذي يحمل الرقم (١) الذي استجاب بسرعة مذهلة للعقاقير وبدأ ينمو نموا سريعا بحيث يصل حجمه الى حجم كلب عمره ثلاث سنوات وذلك خلال بضع ساعات ... يستجيب الكلب للتمرينات استجابة سريعة ويمارس حياته الطبيعية ، بفهم الاوامر واطاعتها والتفوق في تنفيذها .

بعد نجاح هذه التجربة يقرر (هاليستون) تطبيقها على جنين بشري (امه متوفاة حديثا) ، حتى لا يقع تحت طائلة القانون وينجح في العثور على جنين عمره (١٥) اسبوعا يجري عليه تجاربه ... تستجيب الطفلة الجنين لكل العقاقير ، وتنمو نموا مذهلا حتى تصل لحجم يقارب حجم فتاة في الرابعة والعشرين من عمرها ، وذلك خلال اسابيع قليلة بسبب فعالية (اللاجنتين) ومن خلال عقلها الباطن يتمكن هاليستون من تلقينها اصول التفكير الرياضي بدءا من عمليات الجمع البسيطة ، ثم النطق والقراءة والكتابة ... ويعلل (هاليستون) في مذكراته المسجلة على اشرطة تسجيل وعلى الورق ، ان سبب استجابة الفتاة المذهلة كونها لم تمر بمرحلة طفولة ، ولم تحمل الرواسب الاجتماعية ، واختلاطاتها التي يمكن للطفل ان يتأثر بها ، فهي تفكر وتتصرف وتتأمل معتمدة على العلم والمنطق العلمي ، ولا تقتنع الا بما يتطابق مع بنائها العلمي ، فالكتاب المقدس غير منطقي في نظرها ، وقراءتها التي استوعبتها ، جعلتها تتفوق على بطل الشطرنج بسهولة ... ولكن هناك نقصا كبيرا في بنيتها ، ، عملت لوحدها في المختبر للتعرف عليه وتوصلت الى ان العقار المستخلص

من جنين في مراحل تكوينه الاولى يمكن أن ينفذها من الرم والعجز وتستدرج أولا سيدة حامل وتجهضها لتحصل على الجنين الصغير وتأخذ منه جزءا من المادة ولنفس الغرض تستدرج زوجة ابن (هاليستون) الحامل في اشهرها الاولى ... وعلى عادة الافلام البوليسية المثيرة ، يحضر الوالد والابن فتحدث معركة تنتهي بموت الابن وهرب (فيكتوريا) وهو أسم فتاة الانبوب ، حيث يلاحقها (هاليستون) ــ روك هدسون ــ بنفس الطريقة البوليسية لينتهي الفيلم باحتراق سيارتها ونجاتها بعدما تحولت الى عجوز هرمة وهي تتوسل اليه ان لا يقتلها حفاظا على حياة ابنهما المشترك .

لو اكتفى مخرج الفيلم بنصف الفيلم فقط وعمق مضمونه، لكان بالأمكان تحويله الى فيلم علمي جاد يحتل مكانة متميزة في الافلام التي تعالج قضايا (بيولوجية) فالفيلم بعيد عن الاقتناع محشو بالمواقف المثيرة الخرافية بلا مضمون اضاع الروح العلمية التي بدأت بها المواقف المفتعلة بقصد شد اهتمام وعواطف المتفرج الذي لم تعد تقنعه مثل هذه الافلام .. على الرغم من البراعة التي أدار بها (رالف نلسون) كاميراته والديكور المتقن الذي تفنن في نثره وسط مشاهد الفيلم .

أما الفيلم الامريكي (النحل المتوحش) فهو ينتمي الى زمرة افلام الرعب ، التي تعتمد الخرافة العلمية .. يتحدث عن نوع من النحل المهجن البري يهاجم الناس في مقاطعة امريكية ، مما يستدعي تدخل رجال العلم لوضع حد لخطورة هجماته ..

وبفضل الاسلوب المتقن الذي نفذ به فانه بدأ مقنعا اكثر من فيلم (الجنين) الا انه كالفيلم المذكور لم يخل من المواقف غير المقنعة والاثارة الرخيصة ... وهو يشبه الى حد ما فيلم

لطيور) الذي شهدناه قبل سنوات لا لفريد هيتشكوك الـــــذي
بر من اقوى افلام الحيوانات واكثرها رعبا ، فيه تهاجم الطيور
سوداء طلبة المدارس ، وتتكرر هجماتها الصاعقة على الناس ..
رجة انها تحاصر سكان بلدة (باهيابوديفا) الذين يســــدون
الابواب والنوافذ والشقوق خوفا من تسربها .. وينتهي الفيلـــم
وسياراتهم الهاربة تنتشر على الطريق العريضـــس .. وفيلـــم
(الطيور) مقتبس عن قصة دافني دي مورييه (جاءت الطيور)
نفذه هيتشكوك ببراعة بزت جميع افلامه .

اتجاهات في الادب العلمي في العــالم ..

ينحو كتاب الادب العلمي — ان صحت التسمية — ضمن نجاهين متناقضين غالبا حسب فهمهم لطبيعة العلم ومعطياته ، وايمانهم بقضايا الانسان المعاصر ومدى امكانية مساهمة العلم بتطويعها :

— الاتجاه الاول : وهو اتجاه انساني يوظف العلم في خدمة الانسان ويدعو لازالة ستار التعمية عنه ، وحل مشاكله الصحية والاجتماعية والحياتية ويسير ضمن هذا الاتجاه كتاب الخيال العلمي في البلدان الاشتراكية والبلدان السائرة في طريق الاشتراكية .. الذين يؤمنون بالنزعة الخيرة لدى الانسان ويربأون عن توظيف العلم للدمار والشر ، ويساهمون فعلا في وضعه لخدمة الإنسان عن طريق الاعمار والتنمية .

— والاتجاه الثاني : هو اتجاه خرافي يعتمد على شطحات وتفشات مثيرة وشخصيات سوبرمانية تصنع المعجزات بلا مبرر .. وقد دأبت الصهيونية منذ بداية هذا القرن على تشجيع مثل هذا النوع من الكتابة .. على ما فيها من خطر على الناشئين .

وفي الوطن العربي ، الفقير بهذا النوع من الكتابة ، نحا الكتاب — على ندرتهم — بين هذين الاتجاهين دون ان يتمثلوا ايا منهما ... فهم احيانا يتخبطون بكتابات فارغة بلا مضمون ، واحيانا يهربون الافكار الغيبية (كمصطفى محمود وانيس منصور) واحيانا يقتربون من اسلوب طرح القضايا والمضامين الانسانية (كنهاد شريف) ..

تولستوي في غروب المريخ

بين يدي روايتان علميتان خياليتان الاولى (آيليتا) لالـ تولستوي والثانية (آلة الزمن) لـــ : (هـ. ج. ويلز) .

وتعتبر (آيليتا) او غروب المريخ احدى اهم روايتين علمية خياليتين الفهما الكاتب السوفييتي الكبير الكسي تولستوي الــذي عاش فيما بين عامي ١٨٨٣ و ١٩٤٥ ، نشرت هذه الرواية الادبية العلمية عام ١٩٢٣ وقد اقام المؤلف حوادثها علـــى نظريـــــة (تسيلكوفسكي) العالم الرياضي الروسي الذي كان اول مــــن وضع اسس علم الصواريخ ــ نظريا ــ والتي يقول فيها : « سوف لا تبقى الانسانية كثيرا على وجه الارض ، بل ستطارد في سبيـــل الضوء والفضاء ، مخترقة الغلاف الجوي للارض في البداية ، قبل ان تنتشر في اعماق الكون السحيقة » .

كتب تولستوي روايته بأسلوب ادبي اخاذ ، حوى الكثـــير من الشاعرية .. وتتحدث عن رحلة الى المريخ ــ الكوكب الاحمر ــ يقوم بها مخترع سوفييتي يدعى (لوس) يصحبــــه الجنـــــدي (غوسف) الى سطح الكوكب الغامض بواسطة مركبة صاروخية تصل المريخ بسرعة تقارب سرعة الضوء .

تهبط المركبة في منطقة مليئة بالاعشاب المريخية الطويلة ... وحين يبدأ الرائدان بالطواف البطيء بعد خروجهما من المركبـــة يفاجآن بوجود حياة متحضرة على سطح الكوكب ، الذي يتحكـــم فيه مجموعة من العلماء المتسلطين ، بشريعة استعباد تشبه الى حد كبير شرائع انظمة الاستعباد في البلدان الرازحة تحت هيمنـــة حكام يرتبطون بالاحتكارات الرأسمالية مباشرة .

كل ذلك على حساب كادحي شعب المريخ الذين يرزحـــــون

ت اعباء الفقر المريع والجهل والمرض ... يتعلـــق (لوس) ـيرة المريخ (آيليتا) ابنة الحاكم ــ التي تقع في حبــه وتحـــاول خلاص من جو الظلم المهيمن على الكوكب ــ وتروي (آيليتا) ـوس الاساطير والحكايات ومن بينها اسطورة النزوح الى المريخ من نجمة السماء القريبة (كوكب الارض) وكيف قدم اناس ملونة جلودهم بالازرق والاخضر والبني ، من الارض قبل آلاف السنـــين على متن آلات برونزية شبيهة بالبيضة تحركها قوة تطلق مـــــــن عملية تحلل المادة ، وقد ظلوا يغادرون الارض بالتتابع لمدة ((٤٠) يوما) .. كثير من هذه الآلات البيضوية العملاقة فقدت في الفضاء النجمي ، وتحطم كثير منها عند الهبوط على أرض المريـــــخ ... والقليل القليل منها هبط بسلامة في سهـــــول القارة المريخيـــــة الاستوائية وتقول التواريخ :

« خرج ابناء السماء من بيضاتهم طوالا سود الشعور ، كانت لهم وجوه مضيئة مسطحة وكانت اجسامهم وركبهم مكسوة بـــــزرد برونزي ، وعلى خوذاتهم امشاط مدببة وهي تبرز فوق وجوههـــم وكانوا يحملون بأيديهم اليسرى سيوفا قصيرة وبأيديهم اليمنـــى طومارا فيه معادلات تحمل نهاية شعب توما المسكين الجاهل .. هكذا كانت قبيلة الماغاتسيلتين القاسية الجبارة ، اصل شعـــب المريـــــخ الـــذي يدور (لوس وغوسف) في مدنـــه وقراه .... كانت مملكة الماغاتسيلتين على الارض ، مدينة البوابات المائـــــة الذهبية في قارة في قاع المحيط ــ اتلانتيك قديما ــ خرجوا مـــن بيضاتهم البرونزية ، دخلوا مدن الاوليين بنوا المدن ، حفـــروا القنوات ... ووصلوا الى هذا التقدم الكبير .... » .

لعل هذه الاسطورة التي رواها ــ الكسي تولستوي ــ هي اسطورة تتردد حاليا ولكن بصورة معاكسة ... حيث ان القـــارة الغارقة هي موطن اول مجموعة بشرية ، قدمـــت الام الاولـــى لافرادها ــ والمشهورة بلقب طويلة الاذنين ــ ، من كوكب الزهرة

وعاشت مدة طويلة في تلك القارة قبل ان تغرق وتنتشر جماعاته في بقاع الارض .

ان ما يفعله لوس وغوسف حال الوصول الى المريخ ، هو الوقوف مع العمال والمزارعين والرعاة ، ضد المتسلطين من الحكام ، ويشعلان الثورة الجارفة في العاصمة والمدن الاخرى ، وتظل هذه الثورة تمتد الى ان يهدد القائمون بها الطبقة الحاكمة التي تنتصر في النهاية من خلال استخدامها لاحدث ادوات الدمار ... يتمكن لوس وغوسف من الوصول الى محطتهم العجيبة والعودة الى الارض ... وفي ذهن لوس تلك الصورة الرائعة عن (ايليتا) اميرة المريخ التي حاولت جهدها الصمود في وجه تيارات ظلم والدها وحاشيته ، مع انها تعلم ان نهايتها ستكون الهلاك او النفي الى وادي الضياع .

حين تحط البيضة الفضائية على الارض في منطقة بحرية يكثر فيا السابحون يكون قد مر على رحيلهما ثلاث سنوات . اذ ان السرعة الخيالية لمركبتهما الفضائية بسرعة الضوء (١) تجعلهما يعتقدان انه لم تمر على رحلتهما سوى بضعة أيام .

هذه الرواية العجيبة المليئة بالاحداث الخيالية المذهلة والتي كتبها (الكسي تولستوي) في وقت كانت فيه (ثورة اكتوبر) الاشتراكية العظمى تحبو في سنواتها الاولى ، تظهر مدى ما طبعت به هذه الثورة الكتاب السوفييت من طابع الايمان بمبادئها والتشبع بتلك المبادىء ، من خلال اعمالهم الادبية الكبيرة : ما ان يصل الملاحان الى المريخ ، حتى يبدآ في اشعال الثورة ضد الظلم

....

(١) سرعة الضوء في الخلاء (٣٠٠) ألف كيلو متر في الثانية .

نبداد والجور ، وقود الثورة هم العمال والفلاحون والرعـاة
بقة البروليتاريا في المريخ .

وان كان ما تخيله (الكسي تولستوي يستند على المعلومـات
لمية التي كانت متوفرة للعلماء في ذلك الحين ، والفرضيات التي
ول بوجود قنوات هائلة بناها سكان المريخ ، كرمز لتفوقهم ، هي
ليست الا محض خيال ... اذ ان محطات (فايكنغ) الاتوماتيكية
بينت عدم وجود حياة على سطح الكوكب الاحمر بالشكل المتطور
الذي بنى عليه العلماء فرضياتهم في اوائل هذا القرن .

وتبقى القيمة الفنية الادبية لهذه الرواية مرتكزة علـى عمـق
حوارها واحداثها ووجود هذا الطابع العلمي الفريد في بصماتـه،
الذي نجح في اضفائه عليها (الكسي تولستوي) اول كاتـب
للرواية العلمية في الاتحاد السوفييتي ..

نشر تولستوي رواياته وقصصه الاولى التي جلبت له الشهرة
فيما بين عامي ١٩٠٩ ، ١٩١٢ ... ومن مؤلفاتـه : الروايـة
الثلاثية (درب الآلام) التي تتحدث عن الثورة والحرب الاهلية ...
و (طفولة تيكيتا) التي ترجم فيها لحياته ، والرواية التاريخيـة
(بطرس الاول) والرواية العلمية الخيالية (هيبر وبولوليـد
المهندس غارين) .

لم يفهم (الكسي تولستوي) ثورة اكتوبر العظيمـة في
بدايتها ، لذلك هاجر بعد قيامها بسنة واحدة خارج الاتحـاد
السوفييتي ثم عاد وقد تغيرت مفاهيمه عنها — وقدم روائعه الادبية
والعلمية ، وعد في حياته من انشط اعضاء اتحاد الكتاب السوفييت،
اضافة الى انتخابه في المجلس الاعلى للاتحاد السوفييتي .

الة تنقلك عبر الزمن

يتربع (هـ.ج. ويلز) الكاتب الانكليزي الشهير الذي توف عام ١٩٤٦ عن ثمانين عاما ، مكانا مرموقا بين كتاب الخيـــــال العلمي ، لما يتمتع به من قدرة على الاستفادة من مكتسبات العـ ولو بشكل مبالغ فيه احيانا ، ونقل المفاهيم والافكار الانسانية ، عبر كتاباته ومؤلفاته العديدة .

ولعل اروع ما كتب (ويلز) في الادب العلمـــــي روايتــــه (حرب العوالم و (آلة الزمن) وفيها يطور فرضياته العلميـــــة التي يتخيلها دون ان يستند الى منهج علمي ذي صبغة واقعية .

وقد أنتجت (آلة الزمن) في فيلم سينمائي عام (١٩٦٠) من اخراج (جورج بال) حظى بجماهيرية واسعة ، كما طبعـــــت الرواية نفسها آلاف الطبعات وقرأها الملايين من الناس في جميـــع انحاء العالم .

ابتدع ويلز آلته العجيبة التي تنقل عبر العصور ليرى فيهـــا مستقبل الانسان القاتم حيث يشهد دماره بنفسه .. لقد تمكـــن بطل رواية (آلة الزمن) من اختراعها العجيب في اواخر القـــرن التاسع عشر ، ينتقل بها حتى النصف الثاني من القرن العشريـــن ولم يكن قد تعود على رؤية السيارات الفارهة السريعة ، حيـــث يكاد يتعرض لحادثة ينقذه منها شرطي شاب ينصحه بالابتعـــاد عن الشارع المزدحم بالعربات ، والتقيد بالسير على الارصفـــة يعود الى آلة الزمن (*) :

(*) آلة الزمن - طبعة دار المعارف في مصر .

« وملأت صدري بنفس عميق وضغطت علـــى اضراسي ، حركت ذراع الآلة بكلتا يدي ، فدارت الالة فجأة ، وسمعت صوتا شبه صوت الرعد ، نظرت حولي فوجدت الظلام يلفني . وما لبث ن ظهر النهار ، وما كان يطلع حتى رأيت المساء قد اقبـــل مـــرة اخرى ، اخذ الليل والنهار يتعاقبان بسرعة عظيمة ، حتى كنــــت أرى الشمس تطلع وتقطع السماء ثم تختفي لتعود الى الظهـــور فتقطعها كأنها قوس متصل النور .. ومرت الاعوام واحدا بعـــد الاخر ، والالة تدور حتى احسست رأسي يختلط ويعتريه الذهول ، وكنت في الوقت نفسه ، اشعر كأني أهوي في الفضاء الى هاويـــة سحيقة لا قرار لها وخيل الي اني على وشك ان اصطدم واتحطـم قطعا متناثرة في الهواء » ....

تمر الاعوام الطويلة ، يوقف الآلة ، ويعود الى المدينة ، يجد الشرطي نفسه وقد أصبح عجوزا ، والحرب المدمرة تلهب المدينة ، والدم يغطي بسيوله الشوارع والشرطي يطلب اليه ان يذهـــب والدنيا حمم ملتهبة ، والعالم تتشوه معالمه .... فيهرع الى آلتـــه يحرك عجلتها ليدور الزمن وتكر خيوطه سنوات طويلة ، ثم يوقفها ليرى ماذا حدث للعالم بعد مرور هذه الفترة الزمنيـــــة المديدة .. وماذا يرى ؟ البشر تحولوا الى قبائل بدائية ضعيفة حركتهم خابية جمالهم كاذب خادع ، جندوا لخدمة (المرلوك) وهـــــي قبائـــل وحشية تستوطن الكهوف وسراديب الارض وشقوقها وتتخذ مـــن الظلام ستارا لتحركاتها ، اذ ان النور يقتلها ... ويبلغ به الحزن حد الفجيعة وهو يرى فناء الذكاء البشري ، وكيف آل أمـــره الـــى الانتحار على يد الانسان الذي خلد الى حياة الذلة والنعيم .

وماذا سيكون مصير انسانية انغمست في الدعة والسلامـــة وقنعت بالعافية من الهموم .. انه المصير المخبأ الذي ينتظـــــر البشر بشكل قبائل (الايلوي) الضعفاء المدجنين لخدمة شعـــب (المرلوك) المتوحش .

تشده (وينا) الجميلة وهي فتـــــاة مـــن (الايلوى ويتصادقان ... تتعشق فيه الرجولة التي افتقدتها بأبناء جنسها تجري قربه ، تجمع الازهار ، ترشقها في عرى الثوب ، تتولـــد عنده الرغبة العارمة في تحريض (الايلوي) على الثورة علـــى واقعهم .. ويبدأ فعلا في تنفيذها وســط جماعـــة (الايلوي) الوادعين الذين يبهتون لطريقته في التعامل مع اسيادهم المتوحشين، ثم تشترك معه في التمرد جماعات قليلة منهم ... ولكن هذا كلـه لا يصنع الثورة المنتظرة . فبعد معارك عنيفة يخوضها يحيــط به المرلوك ويحاصرونه ، فيقاومهم بشراسة قبل ان يتمكن مـــن الجلوس على آلة الزمن وتحريك ذراعها .. ان الفكرة التـــي ظل يرددها (ويلز) في حياته ، والتي اتخذها في كتاباته العلميـة كرسالة ، هي أن مستقبل الانسانية سباق بين العلم والكارثة .. كانت صورة نهاية العالم تقض مضجعه تلك الصورة المشوهـــة البشعة بسبب تحكم الطبقات المتسلطة التي تستغل الانســان لمآربها ونزواتها ، دون ان تبالي بالاعراف الانسانية . ولعل هـذه الفكرة بالذات هي التي حولت كتابات (ويلز) فيما بعد عام ١٩٠٠ عن الكتابة العلمية ، لصالح ادب التوقعات فأصدر تلك السلسلة الطويلة من الكتب التي حاول فيها ان يتوقع أشكال المستقبــل ووضع فيها مبادىء العمل السياسي لصالح الاشتراكية وهــو في (آلة الزمن) يتنبأ بمصير الارض نفسها ككوكب تابع للشمس حيث ينتظره المصير المظلم الجليدي ... « سرعت بالآلة لاري مـــاذا سيكون مصير هذا العالم ، حتى قطعـــت ثلاثين مليونـــا مـــن السنين » فوجدت ان الشمس قد انطفأت وخمدت بعد ان صـــار قرصها يغطي ثلث السماء ، وصار سطح الارض عند ذلك بلقعـــا ليس عليه الا الثلج من أقصاه وأدناه وأسفله واعلاه ، كانـــت النجوم لا تزال تلمع في السماء بنورها اللألاء المتوهج ، وكان يخيـم على الكون صمت عميق لا اقدر على تصويره ، فلا طير يزقـــزق ولا حيوان يصوت ولا حشرة تطن ، وكان لون السماء وقد صـــار

ود كله ، لا يبدو فيه شعاع الا وميض النجوم ، ولم أطق تحمل
رد المؤلم ، ضاق صدري بأنفاسه ، واعتراني دوار شديد ، كأني
ى وشك الاغماء .. فحركت الذراع لتعود بي الآلة الى قرون
حياة ، وقضيت حينا لا أكاد اعي شيئا .. وعاد النور الى قرص
الشمس ثم اخذ يزداد وما زالت الالة تقطع بي القرون حتى أرست
بي على عصري فبطأت سيرها شيئا فشيئا ثم وقفتها .. وما كان
اعظم سروري حين وقعت عيني مرة اخرى على جدران معملي » .

ان ما تنبأ به ويلز في رواياته العلمية التي كتبها قبل عام (١٩٠٠) من كوارث للبشرية بفضل التقدم العلمي واستخدام العلم في الطريق المناقض للمبادىء الانسانية حدث ابان حياته حين اندلعت الحربان الاولى والثانية . وأودت بملايين من البشر في مجازر بشعة .

وكان رأي النقاد بويلز ، ان تأثيره في المجال **الاجتماعي** ، كان اكثر مما كان في مجال السياسة ، **والادب العلمي الخيالي** .. وكان خطأه الرئيسي اعتقاده ان عملية جمع معاصريه **تحت راية الدولة الشاملة** ، هي أكثر الحاحا من استمراره في **انتاج الادب الرومانسي** .. ولعل ادب (ويلز) الخيالي العلمي ... هو أكثر **حياة وتأثيرا من انتاجه السياسي** ، وهو يفسر شهرته الواسعة التي اهلته لمكانته المرموقة بين كتاب هذا النوع من الادب .

شطحات الخرافة العلمية

في الجانب المقابل ينحو بعض كتاب الادب العلمي في اتجاه الكتابة العلمية المثيرة المبالغة في الخرافة ، دون اي مبدأ علمي ، أو أرضية ايديولوجية تعتمد على توصيل فكرة سياسية متطورة او غرض انساني معين ..

مثل هذا النوع من الكتابة الخرافية تمثله رواية الكاتب الانكليزي فاركوستاتن (عندما يتوقف الزمن) الذي أصدرها منتصف هذا القرن وصدرت ترجمتها العربية عن دار ابن المقفع .

تدور احداث الرواية في جو مليء بالشطحات الخرافية ، تبدأ بوصول سفينة (بيتر كاردان) وزوجته (آدا) ، الفضائية الاوتوماتيكية الى كوكب الزهرة حيث تخترق الغلاف الجوي بسرعة هائلة مما يؤدي الى تحطمها وهذا بدوره يؤدي الى اصابة بيتر وآدا اصابات بالغة خطيرة : « جثتان ممزقتان ، تحطمت عظامهما قطعت أوصالهما اجتثت اعصابهما .. تتدخل الكائنات العاقلة اللطيفة المتطورة التي تعيش فوق كوكب الزهرة ، بتقنيتها الطبية العالية ، فترمم ٩٥٪ من جسميهما بخلايا جديدة اصطناعية تحدث بعض التغير الطفيف بالشكل .. عند عودتهما الى الارض بعد أسابيع يفاجآن بأن الارض متوقفة عن الحركة في الفضاء وكل ما فيها جامد كالتمثال ، الدخان ساكن ، الهواء متوقف ، عقارب الساعة .. الطائرات في الجو ... كل شيء جامد كصورة اخذت في يوم مضطرب صاخب .

أما السبب في ذلك فيعود الى ان الدماغ الالكتروني الذي اخترعه العالم التكنولوجي الفيزيائي الشهير (آدم لاثام) قد طرحت عليه لجنة الاختبار العلمية سؤال (ما هو الزمن ؟) حيث قامت صماماته بعمليات معقدة في محاولة للرد على هذا السؤال (عيون تفتح وتغلق واجزاء معدنية مختلفة الاشكال تتحرك يمنة ويسرة الى الاعلى والاسفل ،اصوات موزونة واخرى مضطربة ... جميع الاجزاء التي يتكون منها الدماغ الالكتروني ، استنفرت للعمل لايجاد الجواب الصحيح لهذه المسألة المعقدة .. قدر العلماء ان الجهاز سيجيب على السؤال في زمن لن يتجاوز الاربع والعشرين ساعة ... وانفضوا ليجتمعوا في وقت اخر ليروا الجواب الذي تمكن الدماغ الالكتروني من استشراقه .

يعلل بيتر وآدا سبب توقف الحركة ، الى توقف الزمـــن :
في الجهاز قوة ذرية غير قابلة للنفاذ ، انتشرت هذه القـوة
شكل موجات هائلة بلغت دائرة واسعة النطاق .. الجـدار
، تكون من المعادلات الرياضية ، والقوة الذرية نفسها ، قـد
ف سير الزمن ، فتوقف كل شيء عن الحركة ، حتى الجهـاز
ته .... » .

أما لماذا لم يتأثر العالمان بهذا التوقف فلان النشاط الـذري غير القابل للنفاذ لم يؤثر على جسميهما المصنوعين من مواد مختلفة عن المواد التي تشكل الجسم البشري ، وذلك نتيجة للترميم الـذي اجراه علماء الزهرة عليهما ، بعد تحطيم سفينتهما الفضائيـة على ارض الزهرة .

يلحظ العالمان وهما يتجولان في (لندن) حـوادث مثيرة للدهشة والعجب ــ رصاصة توقف في الجو قبل ان تقتـل فتـاة في مقتبل العمر من مسدس حبيبها الذي يغار عليها .

ــ احسن لاعب في سيرك المدينة معلق في الهواء ، وتحتـه النصب الذي سيسقط عليه ، وقد نخر الاسيد اعمدته ، لان زميله قد نصب له هذا الفخ ليتخلص منه ، بحيث يصبح هو من بعـده اللاعب الاول في الفرقة ..

ــ سيدة جميلة تجلس على احد المقاعد وتبتسم للخادم الذي يصب لها الشراب في كأسها وقد تجمدت الابتسامة على وجههـا الذي يبدو وكأنه صنع من الشمع بينما تجمد السائل بين الانـاء والكأس ، يتحدى قواعد الطبيعة ... ــ شاب قد باشر باشعـال لفافته بعد أن وضعها في فمه وأغلق عينيه ليقيهما اللهب . وكان عود الثقاب في يده قد اشتعل فانبعث منه لهب براق احمر وانتصبـت فوقه غلالة رقيقة من الدخان الازرق وبقي كل شيء جامدا عـلى هذا الشكل .

يتجولان ويتبينان الحقيقة التي المـــت بالارضـ الجد
ويلحظان تلك المشاهد العجيبة التي لا يلحظها المرء اذا جاءت
معرض الحركة .... يدوران بطائرتهما ذات السرعة التي تر
عن (٨٠٠) كيلومتر في الساعة ، فوق بريطانيا ثم ترتفع سر
وهي تنقلهما فوق القارات والبحار ، يتتبعان الحوادث المدهشـ
التي جمدها توقف الزمن .

ويبدأ العالمان في البحث عن سبب توقف الزمن وتوقف الارض
والقمر وما حولهما في الفضاء .. وبعد جهد يتوصلان الى تبـــين
حقيقة الدماغ الالكتروني الذي حاول ان يجب عن سؤال ما هـــو
الزمن ؟ فأوقفت القوة الذرية والمعادلات الرياضية كل شيء مـــن
حوله تمهيدا لاعطاء الجواب ، حتى هو ذاته .

ويصلان الى مخططات الجهاز لصنع جهاز مناظر له يعيــد
الحركة الجامدة الي كل هذه الاشياء في الكون ، وذلك بعد ان يفجرا
صندوق الامانات الموضوع في المصرف باســـم الدكتـــور (آدم
لاثام) ... وتؤدي البحوث والدراسة الى معرفـــة الطريقـــة
العلمية لعمل الجهاز ، فينقذان ما يتمكنان من انقاذه مـــن كوارث
كانت ستقع لو عادت الحركة فجأة .. كتحطيم اللاعب الاول فـــي
سيرك المدينة واصابة الفتاة بالرصاصة القاتلة الخ ...

ويعود الزمن الى مسيرته وتتابع الارض حركتها السريعـــة
لتلحق بالزمن الفضائي الذي سبقها بعام ارضي كامل ، قبـــل ان
تحافظ على سرعتها المعروفة حول امها الشمـــس ... يحاكـــم
العالمان بتهمة الاعتداء على المصرف وتخريب صندوق من صناديق
اماناته وسرقة محتوياته .. وهذا العمل المخالف للقانون يهددهما
بالسجن لمدة تصل على الاقل الى عامين ... وبعد لاي ينجـــح
الدكتور (آدم لاثام) الذي تفهم حقيقة ما جرى نتيجة الاثبـــات
والحوادث المؤكدة من قبل الشهود الذين غير العالمان طبيعـــة
حركاتهم عند توقف الزمن .... ويخلى سبيلهما اخيرا بعد ان اقتنع

المحلفون بصدق روايتهما ويمزق العالم مخطط احتراعه ويقـــول (سأتعزى عن جهودي .. بكوني احد الاعضاء المؤسســين فـي شركتكما للسفر عبر الفضاء ، واعتقد انكما ستوفقــان توفيقـا عظيما) .

□

هذه الرواية المليئة بالشطحات والمواقف المثيرة الخرافية ، لا تستند على اي مبدأ علمي ، بل تناقض تماما القوانين الرياضية والفيزيائية المعروفة كتوقف حركة الارض والقمر حول الشمس .. عدا عن توقف حركة الناس والاشياء المحيطة بالارض ... ولـم يكن هناك منهج أو فكر يبرر اللجوء الى مثل هذه الشطحـات الخرافية ، الا الرغبة في الاثارة وافتعال المواقف .. ولعل نقطـة الضوء الوحيدة المقبولة في هذه الرواية كونها تطرح فكـرة (ان كائنات العوالم الاخرى ليست شريرة) يعكس ما يصوره الادب العلمي في الغرب – عموما – نتيجة للبنية الرأسمالية المبـررة لتكديس الاسلحة وملء ترساناتها بآلات الدمار المتطورة ..

وفي حين يجد الباحث مبررا للشطحات العلمية المبالغ بهـا في رواية الكاتب الكبير (الكسي تولستوي) (آيليتا او غـروب المريخ) ، للارضية الطبقية التي وضعها أساسا لبنيان روايته ، واعطاها القيمة الرئيسية ، في سرد الاحداث واستخدام العلـم كوسيلة للوصول الى نتائج لا تختلف عن النتائج التي يمكن تخيلهـا لو وقعت على الارض .

كما يجد الباحث مبررا للخيال العلمي المبالغ به ايضا فـي رواية (ويلز) العلمية (آلة الزمن) وهو وجود هذا الهـدف الانساني النبيل الذي هدف هذا المؤلف الكبير من ورائه ان يبـين

اخطار استخدام العلم في غير اتجاهه الصحيح على البشريـــــة ، وكيف سيتحول الناس الذين ستدمرهم حضارتهم الـــــى صنفين : صنف مستبد متسلط .. يتحكم بصنف اخر خابي الحركة خـــــادع المنظر ، مسيس كالقطيع المدجن .

أما الاتجاه الخرافي الذي تمثله رواية (عندما يتوقف الزمن) فليس هناك ما يبرره ، لا أرضية سياسية غنية ، ولا مبدأ انساني واضح .. وانما قفشات مثيرة ومواقف مفتعلة على طريقـــة الادب الرأسمالي الغث .

□

الادب العلمي في الوطن العربي

* رقم (٤) يأمركم .. *

من امتع المؤلفين العلميين العرب الذين قرأت لهم كاتب شاب اسمه (نهاد شريف) ظهرت له منذ أعوام رواية علمية بعنوان (قاهر الزمن) ، يتحدث فيها عن عملية تبريد الانسان الحي ، وايقاظه من سبات طويل بعد أعوام عديدة ، ليمارس حياته من جديد ، في عصر يختلف عن العصر الذي عاشه في السابق ..

كما ظهرت لنهاد شريف مجموعة قصص من الخيال العلمي بعنوان (رقم ٤ يأمركم) ورواية أخرى بعنوان (مردة المجال الثاني) ..

تلفت مجموعته (رقم ٤ يأمركم) ، النظر بسعة خياله ومدى فهمه الدقيق لتطور العلوم وقدرتها على تغيير مجرى حياة انسان الغد .. وقد كتب قصصها بأسلوب ادبي رشيق غلبت عليه الشاعرية .. وتدور معظمها عن صراع انسان المستقبل مع القوى الكونية التي تسكن الكواكب البعيدة ، ومع القوى التي تهدد حياته على الارض ، وهي المرض والموت والشيخوخة .

في القصة الاولى (حذار .. انه قادم) يسيطر الانسان الآلي على الارض ويطرد البشر الى الغابات ليستقل بنفسه في تدوير المصانع والآلات وتنظيم وسائل المعرفة ، وكلما فرغت البطارية التي تموله بالطاقة ، يعبئها من بطاريات كبيرة تخزن طاقته وتحرك أجهزته ، في سبيل اغناء المعلومات المكتسبة .. ويتخيل الكاتب أن أولى بوادر الانقراض بدأت تهدد هذا الكائن

الآلي ، حين تحكمت فيه أولى رواسب العاطفة البشرية الحقيقية. أما في قصته (رقم ٤ .. يأمركم) فهو يتخيل أن في المريخ كائنات عاقلة متطورة ، على الرغم من أن الكشوفات والارصاد الفلكية أظهرت انه غير مسكون .. ينبه سكان هذا الكوكب المتطور، الناس في الارض ، عن طريق هواتف داخلية تتغلغل في اعماقهم، الى أنهم يجب أن يتخلصوا من مخزون السلاح الذري الذي يتزايد حجمه يوما عن يوم حتى لا يحدث لهم ما حدث لسكان الكوكب الذي انفجر بين المريخ والمشتري قبل ملايين السنين ، لسوء تخطيط قادته ، ونزاعهم المستمر الذي أشعل نيران حرب ذرية فجرته برمته .... ولما لم ينفذ سكان الارض ما جاء في انذار كائنات المريخ ، يتمشى في أوصالهم خدر وكسل يجعلانهم يغطون في سبات عميق دام يوما كاملا ، وعندما يستيقظون يكتشفون أن مخزون سلاحهم الذري قد اختفى .

وفي (وجهان لقصة واحدة) يتخيل ان العلماء العرب المصريين وصلوا سنة ١٩٩٩ الى كوكب المشتري في سفينة فضائية متطورة ، تقع في أسر كائنات هلامية غامضة ، تعيش في جوه، وتبدأ هذه الكائنات باجراء الاختبارات على الانسان القادم من الارض ...

أما في قصته (القصر) فهو يتخيل أن عالما فذا قد تمكن من الوصول الى سر الحياة والخلود لاطول مدة ممكنة ، بتركيب اكسير خاص ، يمد في عمر من يشربه بانتظام ، بحيث يستمر في فتوته ونشاطه الداخلي ، الا أن جلده يشيخ ويتشوه كلما تقدم في السن ..

وفي (مندوبة فوق العادة) يتمكن طبيب شاب سنة ١٩٨٢ من كشف علاج حاسم للسرطان ، وفي ابان عطلته التي يقضيها على شاطىء البحر ، يلتقي بفتاة توهمه انها ابنة استاذه المتوفي

من سنوات .. وتعيش معه لفترة طويلة حتى يكتشف كذبتها وانها (*) ...... : « مخلوقة من كوكب بعيد ، تختلف كائناته عنكم في مواصفات كثيرة ، أنا العضو رقم (٩) من مجموعة زملائي البالغين (٢٤) ملاحا ، هم طاقم سفينة ــ النجم الفضي التي تسير بالطاقة الذرية المضاعفة .. حملتنا سفينتنا في رحلة كشف كوني عادية ، بدأناها من كوكبنا (المتألق) المجاور للنجم المسمى لديكم بـ (الشعرى اليمانية) ويبعد عن أرضكم (٨ر٦) سنة ضوئية ، وقد انطلقت رحلتنا بنجاح ، الى أن كان مسارنا داخل مجموعتكم الشمسية ، وحينئذ بالقرب من كوكب عطارد ، حدثت كارثة كادت تودي بنا لولا التقاطنا لخبر اكتشافك من اذاعتكم .. مرض من بنينا أربعة ، من بينهم زوجي ، كلفت بمهمة الحصول على عينات دوائية ، من دوائك لعلاجهم ... » .

وفي (عين السماء) تتهم احدى الفتيات بارتكاب جريمة قتل ، ولكن قريبها الذي لم يقتنع بصحة الاتهام ، يطلع صديقه الفلكي على القضية ، فيحاول هذا من خلال بث الرسائل اللاسلكية بينه وبين سكان كوكب بعيد عن الارض ، الوصول الى الحقيقة ، وعند التحريات يتمكن سكان الكوكب البعيد من معرفة تفاصيل ارتكاب الجريمة ، فيصفونها للفلكي الشاب ، الذي يقدمها للمحكمة، لتظهر براءة الفتاة .

وفي قصصه الاخرى من نفس المجموعة مثل (لكي يختفي الجراد ــ نهر السعاة ــ ثقب جدار الزمن ــ حادث غامض ....) يظهر امكانات متميزة في هذا الفن العجيب ، الذي رصد من خلاله عالم المستقبل الحافل بالمفاجآت العلمية ليثبت اولى ركائز هذا النوع النادر من الكتابة في وطننا العربي ، بعيدا عن الغيبيات والمفاهيم الرجعية ومحاولته بلا شك ، محاولة جادة لتطوير الثقافة العلمية عندنا ، بنوع جديد من الكتابة العلمية العربية المتفوقة اسلوبا ومحتوى .

(*) رقم (٤) يأمركم (صفحة ١١٧ ــ ١١٨) .

الخروج من التابوت

عالم آثار مصري يتجول في مدينة دلهي ، يشاهد فقيرا هنديا تجمع حوله الناس ، يفترش ملاءة على الارض ويغمض عينيه ويتمتم بعبارات غير مفهومة فترتفع الملاءة به على الارض كأنهـــا بساط سليمان يطلب من دليله الهندي الشاب ان يعرفه على هذا الفقير الذي يدعى البراهما واجيسوارا وعندما يتعرف به يحدثـــه عــــن العالم الآخر وكيف يموت الانسان بعد خروج روحه خالدة تعيش في شفافية بين ارواح الآخرين تتعذب ان كانت شريرة وتزداد رقـــة ان كانت خيرة تدخل في الروح الاعظم ...

يأخذ ذلك حوالي نصف الرواية الصادرة عن دار العـــودة بعنوان (الخروج من التابوت) للدكتور مصطفى محمـــود ... ويستمر الاسلوب المثير الغيبي الممتلىء بالافكار الميتافيزيقية يتدفـــق في الرواية مؤكدا نهج مصطفى محمود الخاطىء في فهم العلم ومهمته البعيدة عن الغيبيات والخرافات .

عند عودة عالم الآثار الى القاهرة « وفيما يشبه الحلم ، أقول فيما يشبه الحلم لانني اعتقد اني لم اكن نائما ، وانما كنت في حالة استرخاء شديد وشبه غيبوبة من التعب ، رأيت فيمـــا يشبـــه (امحوتب) في ثيابه الفرعونية وحينما اقترب مني خيل الــــي ان وجهه يلتبس علي بوجه آخر اعرفه ، وكان المئزر الفرعوني الـــذي يضعه حول خصره يشبه ازارا كان يضعه رجل آخر نصـــف عريان مثل هذا الرجل ودققت في وجهه نعم انه « البراهما واجيسوارا » بعينه في ثياب فرعونية ومشية فرعونية وعلى وجهه ذلك الجـــلال الذي على وجه امحوتب القديم » .

ويدور حوار بين عالم الآثار وامحوتب ينهيه الكاتب بعبارة « كان هو البراهما نفسه الرجل الذي عاش الاسماء والازمان واحتوى الابد في داخله » . ومرة اخرى يشهد حلما يتراءى خلاله (نون محب) الكاهن الفرعوني المشهور فيميز وجهه ليرى البراهما نفسه ... يفسر له خيال (نون محب) بعض العمليات التي كان يجريها الفراعنة ، ويشرح له وضع المقابر وامكنة انتشارها ، وموجوداتها ، لينهض من حلمه ويتبين بنفسه ان جميع ما اخبره به خيال نوب محب او البراهما كان حقيقة واقعة .

ان (البراهما واجيسوارا) يتمدد على الملاءة ويطير ثم يجمع النقود ليأكل دون ان يستفيد من قوته — ان كان حقا يملك تلك القوة الخارقة — في الحصول على مصدر شرعي للرزق ، يبعده عن هذا التسول الوضيع ؟ ام ان مصطفى محمود اكتفى باعطائه قوة خارقة دون ان يستثمرها في مجال خلاق مبدع — فقط للتأكيد على أفكاره الميتافيزيقية ؟

ثم لم البحث المتواصل عن حل طلاسم الآثار والكشف عن مخابئها ما دام الحل سيأتي عن طريق شبح يروح ويغدو في حلم متواصل ، كاشفا عن خفايا علم الآثار واماكن توضع المومياءات ..؟

ان رواية « الخروج من التابوت » ترفع لواء المناداة بالافكار الميتافيزيقية مستخدمة العلم في مهمة خاطئة بعيدة عن مهمته الحقيقية في التوعية ونشر الفكر العلمي الذي يحلل الواقع ويعالج مشاكله وترسباته .

ولمصطفى محمود رواية علمية اخرى بعنوان (رجل تحت الصفر) وهي أفضل بكثير من هذه الرواية وفيها يتخيل عالم القرن الحادي والعشرين ، حيث تصبح وسيلة النقل هي الصاروخ

وحيث تضيع الفوارق بين البلدان والمدن والاقاليم ، وتسهم كل امة بقسطها في اغناء الحضارة الانسانية ويكون الحب رفيقا يكافح القوى المجهولة من حقد وحسد وكراهية .. وقد استغلق عليه فهم نظرية النسبية ، فارتكب في شرحها اخطاء فادحة ضمن كتاب صدر له عن دار العودة بعنوان (انشتاين والنسبية) وفيه يكرر تسميته الخاطئة لها بـ (النظرية النسبية) بدلا من نظرية النسبية وكما هو واضح فان هناك فارقا كبيرا بين التسميتين .

وتعتبر النسبية اولى معطيات الرياضيات الحديثة ، لذلك فان حشوه (لشرحها) في كتابه المذكور بالغيبيات افقدها الكثير من قوتها وعطل على جمهرة كبيرة من القراء فرصة فهمها وهضم محتوياتها .

وماذا عن :
« .. الذين عادوا الى السماء »

في كتاب — انيس منصور — الذين عادوا الى السماء — الذي نشره مسلسلا على صفحات جريدة الاهرام القاهرية قبل ان تطبعه دار الشروق عام (١٩٧٦) نقاط كثيرة ملفتة للنظر تدعو للتساؤل عن سر هذا الالحاح المريب في الدعوة للفرعونية .. ضمن كتاب (ظاهره) علمي يتحدث عن كثير من النظريات العلمية التي تفسر ما حدث للارض في العصور القديمة ...

يتألف الكتاب من سبعة عشر فصلا يدور الحديث في كل منها عن أناس قدموا من كواكب بعيدة واستوطنوا بعض مناطق الارض ثم عادوا الى السماء وتركوا آثارهم تشهد عليهم . وعلى الرغم من ان الفكرة تبدو من الخيال العلمي ، الا ان الارضية التي وضع المؤلف نفسه عليها ، ارضية فيها الكثير من الدجل والشعوذة ..

لا اعتراض لنا على قدوم اناس من عالم آخر ومرورهم بكوكبنا الارضي ولكن الاعتراض على الحوادث المثيرة الموظفة توظيفا لا يخفي النزعة الفرعونية . لننظر ما يقوله انيس منصور ــ رئيس تحرير مجلة اكتوبر ــ في الفصل الاول من الكتاب :

« تلقيت كتابا وخطابا من عالم الفضاء المصري فاروق الباز يقول في خطابه : عندما كنت اقوم بتعليم رواد ابوللو ــ ١٧ ــ قلت لهم لا بد ان الفراعنة قد اقاموا الاهرام ليوحدوا بين الشمال والجنوب في مصر في عمل معماري هندسي فلكي ديني واحد . انها مناسبة عظيمة لتذويب الطبقات والفئات في شيء واحد . انها ما تفعله الشركات والمؤسسات والهيئات الامريكية عندما تبني وتطلق سفنا الى الفضاء الخارجي ، حتى لم تعد هذه السفن مشروعا امريكيا ــ وانما حلم انساني تحقق امام الجميع وللجميع .. » .

ويؤكد الكاتب على فكرته تلك اكثر من عشر مرات الى ان يقول ــ يقول مؤلف الكتاب الذي اهدانيه الدكتور فاروق الباز ان « ان مشروع بناء الهرم قد خلق تذويبا للطبقات لم يكن موجودا فهناك أبناء الفلاحين والقبائل الريفية وابناء المدن قد اشتركوا في عمل وطني واحد . وربما كانت هذه اول مرة يفكرون فيها انهم مصريون حقا ... اذا عرفنا ان السبب الحقيقي لبناء الاهرامات هو توحيد قوى الشعب المصري وسياسة بناء مجتمع جديد فان المعنى الديني يتراجع الى الوراء فهذه الاهرامات كانت مناسبة وطنية لبناء شعب جديد ودولة جديدة ظلت سائدة بعد ذلك خمسة آلاف سنة .. والشيء المؤكد هو هذا المعنى السياسي والاجتماعي توحيد قوى الشعب العامل في مصر في هذا البناء العظيم ... ــ »

اذن بناء الاهرام كان هدفه توحيد مصر ، وكانت فكرة عبقرية من الفراعنة لتذويب الفوارق الطبقية .. وقد سار كل الشعب المصري ــ قديما ــ خلف سياسة فراعنته في مسيرات شعبية

هائلة للاشتراك في بناء قبور لهؤلاء الفراعنة ولم تبن الاهرامات باذلال الفقراء واستعبادهم وقهرهم ..

انها حقا سخرية من الشعب البسيط الكادح بمحاولة تمرير مثل هذه الافكار البعيدة عن العقل والمنطق .

ويعود — انيس منصور — لمناقضة ما يكتب ، فيحاول ان يقول وبأكثر من مناسبة بان من بنى الاهرام كائنات تتمتع بقوى خارقة اتت من كواكب اخرى .. وليس الآلاف من العبيد والمضطهدين الذين كانوا في خدمة الفرعون وحاشيته .

ويستمر انيس منصور في آثاراته فيقول بان التقرير الذي اصدرته امريكا عن الاطباق الطائرة اكد ان حركتها تنطلق في خط عمودي على اهرامات الجيزة ثم : — ... ان الفراعنة كانوا على صلة بالكواكب الاخرى واستطاعوا لاسباب لا نعرفها بوضوح ان يقاوموا غزو الكواكب الاخرى ويؤكدوا عبقرية فذة في العصور السحيقة . يقول العالم الامريكي فون دينكين : لو كان لي عمر نوح وتولستوي لاقمت في اهرامات الجيزة حتى استمع من الذين اقاموه في هذا المكان وعلى هذه الصورة لماذا فعلوا ذلك ؟ وما علاقتهم بالاطباق الطائرة ؟ ثم لماذا هم صامتون ساخرون من كل ما فعله العلماء بالاحجار والاوراق والاجهزة والاشعة الكونية تحت الهرم . انها ملحمة اسطورية تتردد اصداؤها في القارات الخمس .. —

ما الذي يؤكد عليه أنيس منصور في ايراد مثل هذه الاقوال ؟ هل الفراعنة وصلوا الى حضارة وتقدم علمي وتكنولوجي في ميدان الاعمار والفضاء فاق ما وصل اليه العلم الحديث ؟ وهل الزمن يعكس التطور اي اننا نتجه حاليا نحو عصر الانسان البدائي في منحنى جيبي بياني يقلب آفاق النظريات العلمية وقوانينها ؟

لماذا لم تعلل ظاهرة الاطباق الطائرة — مع شكنا بوجودها — بمثل تعليل — الكاتب المبدع — من انها تحوي كائنات تعود الى الارض لرؤية ما فعله اجدادها عندما بنوا معجزاتهم في منطقة الجيزة وتركوها اثرا خالدا على مر الزمن .. ؟ .

العلم الحديث مخطىء في انه لم يستشر حتى الآن العالم التاريخي المبدع — انيس منصور — في تعليله لظاهرة تقهقر حركة التطور ، وفي تعليل الظواهر الغامضة في الكون . ثم في وضع احدث النظريات السياسية في تذويب طبقات الشعب في اية امة عن طريق — بناء الاهرامات الخارقة — او بناء محطات — ابوللو — او بناء برج ايفل — او بابل المعلقة — ...

لماذا يلهث الناس وراء نظريات الاشتراكية العلمية في تذويب الفوارق الطبقية ، ما دام بامكان اية امة ان تبني لشعبها بناء خارقا — قد يكون احيانا قبرا عظيما لحاكمها يخلده على مدار التاريخ — في سبيل جعل الناس — سواسية كأسنان المشط .. —
هذه العبقرية الفذة للكاتب الكبير الغت القوانين والنظريات العلمية الحديثة التي سهر اصحابها لاخراجها الى حيز الوجود — الليالي والسنوات الطويلة المضنية ومسحت بجرة قلم كل هذا التراث الزاخر بالعلم والمنطق المرتبط بالتطور الزمني التقدمي ..

تعود انيس منصور على مثل هذه الاثارة والاسلوب الرخيص في تهريب الافكار الرجعية الشوفينية التي تحمل نزعة فرعونية ظاهرة . ففي كتابه الاول — الذين هبطوا من السماء — ادعى ان الفراعنة انصاف آلهة يجري في عروقهم الدم الازرق الذي جرى فيما بعد في عروق اباطرة اوربا — ممثلو الله على الارض ..

هذه الاطباق الطائرة ..

بعد الحرب العالمية الثانية ، أثير الحديث عن مركبات فضاء مجهولة ، قدمت من عوالم اخرى وعلى متنها كائنات تختلف في مواصفاتها عن البشر . وقد كثرت مشاهداتها في مناطق عديدة من العالم ، وقال عنها العلماء في ذلك الحين : ان سكان العوالم الاخرى أقلقتهم التجارب الذرية في كوكب الارض ، فارسلوا قوات استكشاف لترقب عن كثب ما يحدث . وربما احسوا بالكارثة العظيمة التي تكمن وراء تفجير القنبلة الذرية ، فرأوا أن من واجبهم حماية انفسهم من ذاك الوبال ، فبدأوا يراقبون المجمعات الصناعية على الارض بحذر واهتمام ...

وتنوعت مشاهدات الناس لتلك الاجسام ، منهم من قال انها بشكل سيجار ضخم ، ومنهم من قال ان لها شكلا مخروطيا ذو ذنب، وأغلب المشاهدات أكدت انها أطباق دائرية تدور وتلتف بسرعة فائقة .

في السادس من ايار ١٩٧٨ سقط من الجو جسم غريب في بوليفيا ضمن منطقة قريبة من الحدود الارجنتينية ، سبب سقوط هذا الجسم الغريب ، انفجارا سمع على بعد (٢٥٠) كيلو مترا وقد عاش سكان مدينة (مارمورا) البوليفية الصغيرة لحظات من الرعب بعد هذا الانفجار ، الذي لم يبعد عن مدينتهم سوى بضعة كيلو مترات . وقد فرض الجيش البوليفي حصارا على مكان الحادث خوفا من أن يكون الجسم المنفجر قمرا صناعيا يحمل موادا مشعة.. ولكن شهود عيان ذكروا أن الجسم الغريب كان يبدو فضي اللون له قطر يقارب الاربعة أمتار ، قطع أجواء الارجنتين مخترقا الحدود

البوليفية قبل أن ينفجر . ولم يستبعد الخبراء أن يكون الجسم مركبة طائرة تقودها كائنات عاقلة من كواكب أخرى ، اضطرت الى الهبوط المفاجىء بسبب عطل طارىء .

بعد عدة أسابيع من هذا الحادث ذكرت الصحف الايرانية خبر مرور أطباق طائرة في الاجواء الايرانية وهبوط احدها واقلاعه في منطقة غير مأهولة ..

ورددت الصحف الكويتية أيضا نقلا عن مسؤولين في شركة النفط ، وفي محطة الاستقبال الارضي للاتصالات والتلفزة عبر الاقمار الصناعية ، أخبار هبوط جسم اسطواني الشكل له عجلات أحدث ارباكا في الاتصالات التلفونية وعطل المولدات الكهربائية في المنطقة ، والغريب أنه هبط في منطقة غير مأهولة نسبيا ، ولم يشاهده سوى أربعة أشخاص من بينهم أمريكي ...

ثم عاد الجسم الغريب وظهر بعد يومين — على حد زعم موظفي شركة النفط ، وفي نفس المكان وما لبث أن تحرك مرتفعا لمجرد ملاحظته أنه شوهد من قبل الموظف المناوب ؟ ..

في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٣ واثناء الكسوف الكلي للشمس الذي استمر سبع دقائق والذي لن يتكرر حدوثه قبل (١٨٦) عاما شاهدت الطائرات التي كانت تحلق ابان الكسوف اجساما طائرة توهجت وسطعت أنوارها خلال مدة الكسوف .. كما روى بعض الفرنسيين في شمال فرنسا ، أنهم رأوا صحنا طائرا نزل منه رجال صغار الاجسام بملابس رمادية خلفوا بعد رحيلهم قطعا من الصخور المعدنية ، سوداء اللون تشبه المواد التي يقذفها البركان ...

ولعل ظهور الاطباق الطائرة قد تكرر فوق المناطق الثلجية ، حيث تكثر السحب العدسية ، وهي سحب بشكل عدسة رقيقة

الحواف تتحرك فوق القمم بشكل مجموعات تضيئها الشهب الساقطة من الفضاء ، فتبدو كالاطباق الطائرة ..

وأطرف قصة عن الاطباق الطائرة نشرتها الصحف البريطانية مؤخرا :

أطفال من احدى مدارس (برودهافن) قرب (بيمبروك) . عادوا الى مدرستهم بعد الانصراف ليخبروا استاذهم (ريتشارد ليهويلين) أنهم شاهدوا جسما فضائيا غريبا يحلق في الجو ثم يهبط في احد البساتين على بعد (مائتي ياردة) عن المكان الذي كانوا فيه وتعددت روايات الاطفال — وعددهم سبعة — عن الحادث . الا انهم كانوا يتفقون حول شيء واحد وهو أن جسما غريبا كان يطير في الجو ويحلق ، قبل أن يهبط .

أكبر الاطفال سنا — واسمه مايكل ويب وهو في العاشرة من عمره — قال أنه رأى ورفاقه الجسم الغريب ، لمدة بين ثلاث وخمس دقائق ، وذكر أنه يطلق ضوءا أحمر بشكل منتظم ، ورجح أن يكون مركبة فضائية ...

وطلب المدرس من الاطفال رسم مشاهداتهم كل على حدة ، وهكذا رسم الاطفال رسومهم المختلفة التي اتفقت حول شيء واحد وهو شكل الطبق الطائر الذي كثرت عنه الانباء في السنوات الماضية ..

وقد عقب المدرس على رسوم الاطفال بقوله : « أعتقد أن الاطفال قد شاهدوا شيئا لم يروه من قبل واستبعد كذبهم ، فقد تحدثت الى كل منهم على حدة وشاهدت رسومهم وتأكدت من صحة كلامهم .

ومن الطريف أن محكمة فرانكفورت في المانيا الغربية تشهد حاليا أغرب قضية علمية من نوعها في العالم . فقد وجه العالم الالماني (اوجست فورمان) تهمة الخيانة الى زميله (كارل نايت)

زاعما أنه على صلة بالرجال الخضر أصحاب الاطباق الطائـرة . ويقول (أوجست) الذي رفع دعواه على زميله : « ان هـؤلاء الرجال الخضر هم مبعوثو كائنات شريرة من كوكب آخـر ، تحاول الاستيطان فوق هضبة التيبت التي يصعب الوصـول اليهـا ، وان هدفهم من وراء اطلاق أطباقهم في انحاء العالم ، مراقبة تطـور الاسلحة الحديثة وكشف مخزونها في الدول المتقدمة . وهم ينتظرون أن تقوم الجرب الذرية التي ستدمر كوكب الارض ، ليهبطوا فوقـه ويسيطرون عليه .. » .

ويرد (كارل نايت) على هذا الاتهام ويقول : « ان هـؤلاء الرجال الخضر هم أناس طيبون يهدفون من زياراتهم المتكررة لكوكب الارض ، ان يحذروا سكانه من مغبة عبثهم بالسلاح الذري واطلاق التوابع الصنعية في الفضاء ، بقصد ارتكاب أعمال شريرة ضـد الكوكب .. »

□

ولو تابعنا سرد بعض أخبار الاطباق الطائرة لاحتجنا الـى المزيد من الاسهاب في معلومات ومشاهدات مكرورة مثيرة ، تصـل أحيانا حد الاسفاف والابتذال ..

وقد شكلت العديد من حكومات العالم لجانا خاصة لمراقبـة الاجسام الغريبة القادمة من الفضاء الخارجي ، التي تحمل كائنات من العوالم الاخرى . وعقدت مؤتمرات عديدة كان آخرها المؤتمـر العلمي الذي عقد في المكسيك وفيه أثيرت قضية الاطباق الطائـرة واختلف المجتمعون حول مصدرها وهدف زياراتها المتكررة للارض .

□

لا شك أن الاعتقاد بأن الانسان هو الكائن الوحيد في الكـون هو اعتقاد قاصر غبي ، يؤكد على أنانية وروح ضيقة بعيدة عـن

الانعتاق في عالم نشغل منه حيزا مهملا تقريبا . فلو اعتبرنا مجرتنا البيضوية بشكل قطع ناقص فان أرضنا تبعد عن مركزها ما يزيد عن مليار كيلو متر . وتقدر المسافة بين المجرات بملايين السنين الضوئية (السنة الضوئية تعادل (١٠) مليون مليون كيلو متر) وعدد النجوم في مجرتنا نحو (١٠٠) مليون نجم مختلفة الحجوم، تدور حولها كواكب ، وتدور حول بعض هذه الكواكب أقمار .. وأكثر من (٤٠) ألف كوكب شبيه بالارض في مجرتنا ، تدور حول نجوم — كما ذكرنا سابقا — تقارب في حجمها حجم شمسنا ، فما الذي يمنع من وجود نوع من الحياة — ربما بشكل يختلف عن المألوف لدينا — فوق هذه الكواكب ؟ وما الذي يمنعها من الوصول ؟

نحن لا نختلف على الحقائق العلمية التي تؤكد وجود عوالم أخرى في الكون مسكونة بكائنات عاقلة .. ولكننا نرفض ان تستخدم هذه الحقائق في اثارة رخيصة مبتذلة لجذب انتباه جمهور لم يصل حد الوعي العلمي سواء في الدول النامية أو في الدول الرازحة تحت وطأة أنظمة رأسمالية تستبعد الفرد وتوجهه لخدمة مآربها ...

— ان ما وصلت اليه الصناعات الحربية الجوية الامريكية من تطور — مثلا — لا يمنع من أن يلجأ البنتاغون الى صنع مركبات الكترونية مجهزة بتقنية عالية وبأحجام مختلفة ، واطلاقها فوق البلدان النامية ، وحتى الاوربية الدائرة في فلك أمريكا ، مستغلا الكلام عن وجود أجسام فضائية طائرة من خارج الارض تحمل كائنات عاقلة (والتي لم يتفق العلماء على تحديد مواصفاتها العامة بعد ...) وذلك بقصد أقحام هذه المركبات الامريكية في أغراض عسكرية — ربما بهدف السيطرة على مناطق هامة من العالم — عن طريق آلات ذات أشكال غير مألوفة تدهش الناس وترعبهم فلا يفكرون في مقاومتها لغرابتها الشديدة ...

معظم بلدان العالم الثالث الذي ظهرت فيها الاطباق الطائرة تضم ثروات باطنية معدنية أو نفطية (ايران — الكويت

— الارجنتين ......) وهذه البلدان بالذات تعد مركزا للغيبيات والاعتقاد بالخوارق . لذا فان المتتبع لاقوال من شاهدها يحس تماما بوجود تناقضات غير مقنعة .. كما قال ذلك الموظف النفطي لمراسل وكالة انباء غربية (!!) من أن الطبق الطائر حالما شاهده ينظر اليه وهو على هذه المسافة البعيدة أقلع وطار بسرعة ... (!! ؟) .

لعلها فبركة صحفية ، مبتذلة ، بعيدة عن المنطق تلجأ اليها الصحافة الغربية لترويج أعدادها .. وقد حدث مؤخرا أن أكد جميع سكان مدينة غربية على رؤية اطباق طائرة تحلق في سماء مدينتهم .. ولدى تدقيق العلماء ، تبين لهم أن تلك الاطباق المزعومة ليست سوى تجمعات غازية من منطاد انفجر في الجو قرب المدينة..

كما أن هناك سحبا عدسية (تبدو السحابة فيها كعدسة رقيقة الحواف) تطير بشكل مجموعات فوق الجبال الثلجية والمناطق الباردة ، تبدو الشهب وهي تخترقها كأطباق طائرة تتحرك بسرعات تصل (٢٠٠) كيلو متر في الساعة .

ونحن نستعرض هذه الحوادث والروايات والقضايا العلمية المتعلقة بالاطباق الطائرة لا بد لنا من أن نسأل أنفسنا ، لماذا لم نسمع مطلقا عن مشاهدات لهذه الاطباق الفضائية في البلدان الاشتراكية المتقدمة علميا ، مع أن مساحاتها الشاسعة وتطورها التقني الهائل لا بد وأن يغري سكان الكواكب البعيدة ، ان أتت الى الارض فعلا — من الطيران والهبوط فوق بعض أراضيها ؟

شيء من الخيال العلمي ◊◊

تخيل انك امتطيت ركب (آلة الزمن) التي ابتدعها (هـ. ج. ويلز) لتعيش في عام (١٢٠٠٠) ميلادية ...

ان كنت بتركيبك الفيزيولوجي الحالي ، سينظرون اليك كشاهد منقرض على مدى تطور الانسان ... قد يضعونك في قفص زجاجي ، بين مجموعة هائلة من الكائنات الحية ، العجيبة الاشكال والالوان ، ضمن ظروف تؤمن لك الحياة ، وتبعد عنك المرض والهرم ، لتكون دلالة اكيدة على تطور العقل والبنية المادية للبشر ...

لا شك في ان عبقريات العلماء آنذاك ، سوف تحل المفاهيم والرموز التي تعيشها ، ستميط اللثام عن تفكيرك ، عن عقلك وحواسك وشعورك في لحظات متتالية ..

ربما أحاطت بك في أقفاص زجاجية ـ كما أسلفنا ـ كائنات مجلوبة من كواكب بعيدة مرقمة ومرمزة .. قد تكون تلك الكائنات من مجرتنا (سكة التبانة) أو من مجرات أخرى ...

■ ووطننا هذه البقعة التي نعيش فوقها ، ماذا سيكون وضع من يعيشون فيها حينذاك ؟

ـ قفزة قدرها عشرة آلاف سنة من التطور والرقي والحضارة ... جرت ابان هذه السنوات الطويلة احداث مضطربة متفاوتة ، ربما عجلت بهرب أنظمة الاستعباد والاستعمار ، بأشكالها المستحدثة الى كواكب بعيدة ... أو ربما انقرضت هذه الانظمة بعد موجة من المقاومة العنيفة عمت كوكبنا والكواكب الاخرى ، في محاولة للتخلص من تلك الطفيليات الحضارية ...

تكاتف الشعوب المناضلة سيكون رمزا لصمودها ، ضد الاخطبوط الاستعماري الذي يحاول امتصاص قواها واذلالها واستعبادها من جديد ... ستتحول تلك الشعوب بعد يقظتها ونمو العبقريات فيها الى شعوب مسالمة وديعة ، تقف حائلة دون أذى قوى الشر ، وتنتشر بين العوالم البعيدة للاستكشاف ، تحمل مشعل الحضارة والسلام والتقدم ..

سينتشر العقلاء بين المخلوقات البدائية في رحاب الكون ينشرون العلم والمحبة ... يعلمون الاحفاد حب الحياة بوداعة وطمأنينة ...

▪ والموت عند ذلك ، كيف سيحس به الناس ؟

— سيكون الموت شعورا طبيعيا بالوصول الى اداء الرسالة .. متوسط العمر يعد بمئات السنين ، والموت في نهايته راحة ، لا يتألم الا من تكون نواياه ضد الخير ..

▪ أمن المعقول أن يأتي ذلك الزمن ؟

— لم لا ؟.. حين تعم قوى الخير أرضنا والكواكب الاخرى المسكونة في الكون ، وتنطلق الكشوفات العلمية في رحاب الفضاء ... بحثا عن المعرفة ، يأتي زمن الحضارة والحب ...

▪ ما هو وضع الارض في الكون ، وضع الشمس ، المجرة ؟

— الارض تقدم بها العمر عشرة آلاف سنة أخرى ، والشمس فقدت القليل من هيدروجينها الذي تحول الى هليوم ، والمجرة اتسعت قليلا ، وتمطت بمساحة تداخلت فيها النجوم والكواكب ..

أما اذا ظلت القوى المسيطرة في الأرض تحارب الحياة ، بعدما ملكت أعتى وسائل الدمار ، فان نزاعاتها المستمرة قد تتصعد يوما لتندلع نيران حرب تفجر هذا الكوكب الوادع برمته .. ويظل كل ما تخيلناه من قبل تفاؤلا غير محدود .

□ وماذا لو تنبأنا ونحن في غمار تفاؤلنا بالحياة بعد مليوني سنة ؟

ـ كلما بعد الزمن ، صار المستقبل أكثر غموضا ، ان ظل هذا الخيال يشطح بنا سنقول ان الزمن عندها يضيع ، لن يشقى فيه الانسان ... سيتخلص من جاذبية كوكبه ، ويقضي أعواما مديدة في الانتقال بين المجرات والنجوم ...

ربما تكون شمسنا قد انطفأت وتحولت الى نجم قزم خامد ، بعدما تفقد الكثير من هيدروجينها تتحول بالتدريج فيما بعد الى جسم معتم ، يجرفها التيار بين نجوم لا تزال باقية تشع ...

قد يتمكن الانسان عند ذلك من التغلب على الموت ، أو ربما ينجح في مد عمره سنوات طوال تعد بالالوف ، وعندما يحين أجله ، قد يوضع في قارورة ، يقدم الطاقة لمن هم أصغر منه ، طاقة عقلية حافلة بالتجارب والاحداث ، والمعادلات المعقدة ..

ومادته الميتة تتحول لتجدد القوى الشابة ...

لن يحس الانسان عند ذلك بالشقاء ، سيشغله الاكتشاف والبحث والحضارات الجديدة .. وقد تصبح سرعة محطاته الكونية المغلفة بالطاقة ، أكبر بكثير من سرعة الضوء ...

□

لا شك في أن السباق مع الزمن ، سباق هائل ، مضني ، قد يطوع العقل خلاله الرغبات ، ويحولها الى طاقة خلاقة مبدعة ... والا افنى الانسان نفسه ... □□

صدر للمؤلف

ـ العالم من حولنا (دراسة علمية) وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٦ .

ـ كوكب الاحلام (قصص من الخيال العلمي للاطفال) اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٧٨ .

ـ (صوت من القاع) ـ قصص من الخيال العلمي ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٩ .

يصدر

العابرون (رواية من الخيال العلمي) ـ اتحاد الكتاب العرب .

ـ نافذة على كوكب الحياة (دراسة علمية) ـ وزارة الثقافة ـ دمشق .

الفهرس

توزيع

دار ابن رشد للطباعة والنشر

بيروت ـ لبنان ـ كورنيش المزرعة ـ بناية موسى ـ ت ٣٠٠٣١١

الثمن ٧ ليرة لبنانية أو ما يعادلها